PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(11): 615-638
ISSN: 1553-6939

Renewal in interpretation, reasons and areas.

Dr. Bouderbala Farid[1]
[1]Professor Lecturer A, University of Oran1 Ahmed Ben Bella, Faculty of Islamic Sciences and Humanities (Algeria).
The E-mail Author: Bouderbala.farid@univ-oran1.dz
Received: 04/2024 **Published: 11/2024**

Abstract:
The research study is based on liberating the term "renewal" in the interpretation of the Holy Qur'an, and what are its most prominent reasons and limitations? Then, what are the most prominent areas of innovation in the interpretive system of the Holy Qur'an? The research also addresses the character of the innovator, and what are the most prominent mechanisms that he carries out in order to renew and bring the nation closer to the correct understanding of the Holy Qur'an by keeping pace with reality and understanding the overall purposes of the Holy Qur'an, without prejudice to the components of the original interpretation, and what are the ways to deepen and benefit from man's relationship with the Holy Qur'an in the field Earthly and hereafter through this desired renewal,? From there, interactivity and positivity arise, or what is called interactive interpretation, by investing in previous interpretations, renewing their understanding, integrating them with the nation's reality, concerns, and ills, and then finding solutions through that renewal.
Keywords: Renovation, The explanation, The commentator, The Reformers, Religion.

التجديد في التّفسير، دواعيه ومجالاته.

د. بودربالة فريد[1]
[1]أستاذ محاضر أ، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، كلية العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية (الجزائر).

ملخص:
تقوم دراسة البحث على تحرير مصطلح مفهوم التجديد في تفسير القرآن الكريم، وما هي أبرز دواعيه وحدوده؟ ثم ما هي أبرز مجالات التجديد في المنظومة التفسيرية للقرآن الكريم؟ كما يتناول البحث صفة المجدد، وما هي أبرز الآليات التي يقوم بها حتى يجدد ويقرب للأمة الفهم الصحيح للقرآن الكريم من خلال مواكبة الواقع وفهم المقاصد الكلية للقرآن الكريم، من غير المساس بمكونات التفسير الأصيل، وما هي السبل في تعميق واستفادة علاقة الإنسان بالقرآن الكريم في المجال الدنيوي والأخروي من خلال هذا التجديد المنشود؟ ومن ثمة تنشأ التفاعلية والإجابية، أو ما يسمى بالتفسير التفاعلي، من خلال استثمار التفاسير السابقة وتجديد فهمها ودمجها بواقع الأمة وهمومها وعللها، ثم إيجاد الحلول من خلال ذلك التجديد.
الكلمات المفتاحية: التجديد، التفسير، المفسرون، المجددون، الدين.

مقدمة:

الحمد لله الذي عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَان، وأعظم بيان هو بيان القرآن الكريم، ومن أعظم النّعم على هذه الأمة، أن تكفل الله-جلّ وعلا- بحفظ كتابه وبيانه قال جلّ وعلا-: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9] ؛ وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: 17 - 19] ، و قال سبحانه: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44] ، والبيان حاصل في معانيه، كما هو حاصل في ألفاظه ومبانيه، وكان من تمام إعجازه أنه لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ ؛ قال الطاهر بن عاشور :" أَنَّ السَّلَفَ قَالُوا: إِنَّ الْقُرْآنَ لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ يَعْنُونَ مَعَانِيَهُ وَلَوْ كَانَ كَمَا قَالَ الشاطبي لَا نقضت عَجَائِبُهُ بِانْحِصَارِ أَنْوَاعِ مَعَانِيهِ".[1]

وبين إشكالية أنّ النّبي-صلى الله عليه وسلم-بين لأصحابه معاني القرآن، وبين أن هذه المعاني لَا تَنْقَضِي، جالت أفهام ونظرات في مفهوم التجديد، وخاصة في خضم العولمة والتداخل الحاصل بين الثقافات، فمن النّاس من استشرف لكل جديد واستسلم لنعرات حداثية وأفكار فلسفية، وتملص من كل قديم، وفي الطرف الآخر على النقيض لم يقبل أي جديد ولو كان في صالح بناء ما هو قديم وعتيق، ونحن في هذا البحث نحدد مفهوم التجديد، ثم نبين الأطر ومجالات التجديد في التفسير، وما هي أشكاله وصيغه مع بيان الضوابط الكفيلة للمحافظة على الموروث العلمي والثقافي، بحلة ولغة مواكبة للعصرنة والواقع.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث:

- ✓ المساهمة في تعميق البحث لدى الدراسات القرآنية، والوقوف على أهم الإشكالات المعاصرة في الدراسات القرآنية الحديثة.
- ✓ اضافة جديدة في الفكر المعاصر الحديث وتصحيح الرؤية العامة في الاستفادة من القرآن الكريم، وفق كل عصر.
- ✓ أهمية تجديد فهم القرآن الكريم وفق تطلعات الأمة في التغيير الإيجابي من خلال تجديد عهدها بفهم القرآن الكريم والاستفادة منه في نهضتها.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف كالآتي:

- ✓ تحرير مفهوم مصطلح التجديد في تفسير القرآن الكريم، وبيان ضوابطه، حتى لا يقع الالتباس في مفهوم هذا المصطلح وتوسعه.
- ✓ حل إشكالية التحريف والتأويل باسم التجديد.
- ✓ تحديد دواعي التجديد وما هي أهم متطلباته وحدوده.
- ✓ تحديد مجالات التجديد وما هي أهم متطلباته.

مصطلحات البحث:

نوظف في بحثنا هذا مصطلح المنظومة التفسيرية للقرآن الكريم، ونريد بها تلك المنظومة القائمة وفق أصول التفسير، عند أهل السنة والجماعة، من طرق التفسير ومصادرها وكيفية التعامل عند تعارضها واختلافها؛ والتي من أبرز طرقها تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة النبوية، أو بأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين، أو بلغة العرب ومدلولاتها وطرقها في الكلام؛ مع تجنب تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

كما نوظف أيضا مصطلح التجديد بمفهومه العام الذي يشمل جميع جوانب الدين، وبمفهومه الخاص المرتبط بدراسة التجديد في تفسير القرآن الكريم، ولا نقصد بالتجديد المساس بالمفهوم الأساسي للقرآن الكريم وتغيير أحكامه ومفاهيمه ومقاصده، بل التجديد المنشود هو إحياء فهمه وفق واقعنا والاستفادة منه في المجال الدنيوي والأخروي.

حدود البحث:

نحدد دراسة الموضوع في التجديد في المجال الخاص بتفسير القرآن الكريم دون غيره من الفنون كالفقه، وأصول الفقه وغيرها.

أما عن تحديد الزمن فقد تطرقنا أن لكل عصر تجديد وفق متطلباته، ونحن في هذه الدراسة نتطلع للتجديد وفق متطلبات واقعنا ودواعيه.

منهجية الدراسة:

تقوم منهجية البحث على المنهج: الوصفي التحليلي، والذي من خلاله نصف الظواهر الفكرية لحركة التجديد، ومن ثمة تحليلها تحليلًا موضوعياً علمياً، مع بيان أهم العلاقات والروابط في العملية التجديدية لتفسير القرآن الكريم.

إشكالية البحث:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس: هل نحن بحاجة لتجديد تفسير القرآن الكريم في عصرنا الحاضر؟ وينبثق عن هذا التساؤل مجموعة من الأسئلة الفرعية وهي:

- ✓ ما مفهوم مصطلح التجديد في تفسير القرآن الكريم؟
- ✓ ما هي دواعي التجديد في التفسير القرآن الكريم وما هي أهم متطلباته وحدوده؟
- ✓ ما هي مجالات التجديد في التفسير القرآن الكريم؟

الدراسات السابقة: سُبقت هذه الدراسة بمجموعة من الدراسات منها ماهو منشور وبعضها على الشبكة العكبوتية، ومن أبرزها ما يلي:

- **اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين**،(رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه جامعة القاهرة ،كلية دار العلوم ،قسم الشريعة الإسلامية) إعداد: شريف محمد إبراهيم السيد، نوقشت سنة: 1978م.
- **التجديد في التفسير في العصر الحديث مفهومه وضوابطه واتجاهاته**، (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن جامعة أم القرى) إعداد الطالبة: دلال بنت البقيلي السلمي. نوقشت سنة:2014م.
- **التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط**، لعثمان أحمد عبد الرحيم، صدر عن مجلة الوعي الإسلامي بدولة الكويت، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المطبعة العصرية.
- **معالم التجديد في تفسير المنار لمحمد رشيد رضا**، (مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في العلوم الإسلامية تخصص: تفسير وعلوم القرآن -جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان)، إعداد الطالبة: بوحلوفة بدور. نوقشت سنة:2015م.
- مقالة بعنوان:**"التجديد في تفسير القرآن ، فريضة شرعية وضرورة حضارية"** أ.د أحمد محمد الشرقاوي. نشرت في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج(12)، ع(3)،2016\1437ه.
- **التجديد في الدرسات التفسيرية مقترحات وتجارب**، د. عبد الله موسى محمد أبو المجد، (وهو عبارة عن بحث مقدّم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية)، المنعقد:16\02\2013م.
- **التجديد في التفسير مادةً ومنهجاً**، دكتور: جمال أبو حسان،(أستاذ مساعد كلية الشريعة - جامعة الزرقاء الأهلية- الأردن) بحث مقدم لمكتبة شبكة التفسير والدراسات القرآنية.
- **تجديد فهم القرآن بين العلماء الربانيين والعلمانيين الحداثيين**، إعداد: الدكتور محمد حاج عيسى، نشر في موقع: في طرق الإصلاح(وهو موقع خاص بالدكتور). بتاريخ:27 فبراير 2015م.
- **الاجتهاد والتجديد بين التيار التقليدي والتيار الحداثي(علم التفسير نموذجًا)**، إعداد: الأستاذ: مهجة مشهور، نشر في موقع: خطوة للتوثيق والدراسات، بتاريخ: 12ديسمبر 2017م.

هذه بعض الدراسات السابقة التي عالجت موضوع التجديد بعضها محدد بفترة زمنية،

والآخر محدد بشخصيات تجديدية، كما أن البعض عالجها من خلال مقترحات وتجارب، أما هذه الدراسة فالاضافة فيها هي: تحرير المصطلحات أولاً في هذه المنظومة التفسيرية، ثم البحث عن دواعي التجديد وضرورته، وأهم مجالاته، وفق خطة مدروسة.

خطة الدراسة: تحتوي هذه الدراسة على مقدمة بعناصرها المعروفة، ثم قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التجديد في التفسير. ويتضمن ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: تعريف التجديد لغة واصطلاحا.**
- **المطلب الثاني: تعريف التفسير لغة واصطلاحا.**
- **المطلب الثالث:تعريف التجديد في التفسير.**

المبحث الثاني: دواعي التجديد في التفسير وما هي أهم متطلباته.

- **المطلب الأول: الحاجة إلى البيان.**
- **المطلب الثاني: الحاجة إلى تصحيح المفاهيم.**
- **المطلب الثالث: الحاجة إلى مواكبة آليات العصر.**

المبحث الثالث: مجالات التجديد في التفسير.

- **المطلب الأول:التجديد في البيان.**
- **المطلب الثاني: التجديد في فهم النص.**
- **المطلب الثالث : التجديد في آليات الفهم.**
- **المطلب الرابع: التجديد في طريقة الطرح والعرض.**
- **المطلب الخامس: التجديد في تصحيح المفاهيم.**

الخاتمة: وتحوي أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم التجديد في التفسير.

التجديد لُغةً:

قال الخليل الفراهيدي (ت:170هـ):" والجِدَّةُ: مصدر الجَديد، وفلانٌ أجد ثوبا واستجده، قال: يَجدُّ ويَبْلى والمَصيرُ إلى بِلىً".[2]

قال أَبُو حَاتِم: جَدِيد بَيِّن الجِدَّة الْجمع جُدُدٌ.[3] ؛ وقال ابْن السّكيت: وَلَا يُقَال جُدَدٌ إِنَّمَا الجُدَد الطَّرائِق.[4]

وجاء في لسان العرب:" جَدَّ الثوبُ والشيءُ يجِدُّ، بِالْكَسْرِ، صَارَ جَدِيدًا، وَهُوَ نَقِيضُ الخَلَقِ؛ والجِدَّةُ: مَصْدَرُ الجَدِيدِ. وأَجَدَّ ثَوْبًا واسْتَجَدَّه. وثيابٌ جُدُدٌ. وتجدَّد الشيءُ: صَارَ جَدِيدًا. وأَجَدَّه وجَدَّده واسْتَجَدَّه أَي صَيَّرَهُ جَدِيدًا".[5]

ولقد تناول القرآن الكريم لفظة جديد بمفهومين:

أحدها إحياء جديد مع التغير: وقد ورد القرآن بهذا المعنى في، قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ **[إبراهيم: 19]** [إبراهيم: 19]. وقوله: ﴿**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ **[فاطر: 16]**. والتغير هنا لا يقصد منه تغيير صفة النوع البشري بنوع بآخر غير بشري، وإنما التجديد في تغيير الصفة الشخصية للبشر ببشر آخر.

يقول أبو جعفر الطبري في قوله: ﴿ **إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ** ﴾:" إِنَّ الَّذِي تَفَرَّدَ بِخَلْقِ ذَلِكَ وَإِنْشَائِهِ مِنْ غَيْرِ مُعِينٍ وَلَا شَرِيكٍ، إِنْ هُوَ شَاءَ أَنْ يُذْهِبَكُمْ فَيُفْنِيَكُمْ أَذْهَبَكُمْ وَأَفْنَاكُمْ، وَيَأْتِ بِخَلْقٍ آخَرَ سِوَاكُمْ مَكَانَكُمْ، فَيُجَدِّدَ خَلْقَهُمْ ﴿**وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾ **[إبراهيم: 20]** يَقُولُ: وَمَا إِذْهَابُكُمْ وَإِفْنَاؤُكُمْ وَإِنْشَاءُ خَلْقٍ آخَرَ سِوَاكُمْ مَكَانَكُمْ عَلَى اللَّهِ بِمُمْتَنِعٍ وَلَا مُتَعَذِّرٍ، لِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ".[6]

والثاني إحياء ما اندثر منْ جديد: وقد ورد القرآن بهذا المعنى ؛ كقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾ **[الرعد: 5]** ؛ يقول أبو جعفر الطبري قوله:﴿ **أَإِنَّا**

لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [الرعد: 5]:" أَئِنَّا لَمُجَدَّدٌ إِنْشَاؤُنَا وَإِعَادَتُنَا خَلْقًا جَدِيدًا، كَمَا كُنَّا قَبْلَ وَفَاتِنَا؟ تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ، وَجُحُودًا لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ".[7]

وقوله: ﴿ **وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**﴾ **[الإسراء: 49]**؛ يقول أبو جعفر الطبري:" ﴿ **أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** ﴾ قَالُوا: إِنْكَارًا مِنْهُمْ لِلْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ: إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ بَعْدَ مَصِيرِنَا فِي الْقُبُورِ عِظَامًا غَيْرَ مُنْحَطِمَةٍ، وَرُفَاتًا مُنْحَطِمَةٍ، وَقَدْ بُلِينَا فَصِرْنَا فِيهَا تُرَابًا، خَلْقًا مُنْشَأً كَمَا كُنَّا قَبْلَ الْمَمَاتِ جَدِيدًا، نُعَادُ كَمَا بُدِئْنَا؟".[8]

وقوله: ﴿**ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** ﴾ **[الإسراء: 98]** ؛ وقوله: ﴿ **وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ**﴾ **[السجدة: 10]** ، وقوله: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ **[سبأ: 7]** ؛ وقوله: ﴿ **أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾ **[ق: 15]**.

كما ورد في السّنّة النّبويّة لفظ جديد وبعض مشتقاته:

حيث ورد عند أبي داود بسنده عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ **يُجَدِّدُ** لَهَا دِينَهَا".[9]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ **يُجَدِّدَ** الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ".[10]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: أَنَا الدَّهْرُ، الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي لِي، **أُجَدِّدُهَا** وَأُبْلِيهَا، وَآتِي بِمُلُوكٍ بَعْدَ مُلُوكٍ ".[11]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَوْبًا أَبْيَضَ، فَقَالَ: "**أَجَدِيدٌ** قَمِيصُكَ أَمْ غَسِيلٌ"؟ فَقَالَ: بَلْ **جَدِيدٌ**، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْبَسْ **جَدِيدًا**، وَعِشْ حَمِيدًا، وَمُتْ شهيدا".[12]

و جاء في الأثر عن كثير بن عُبيد قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ:" أَمْسِكْ حَتَّى أَخِيطَ نَقْبَتِي ، فَأَمْسَكْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! لَوْ خَرَجْتُ فَأَخْبَرْتُهُمْ لَعَدُّوهُ مِنْكِ بُخْلًا! قَالَتْ: " أَبْصِرْ شَأْنَكَ؛ إِنَّهُ لَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا يَلْبَسُ الْخَلَقَ".[13]

التجديد اصطلاحاً:

ارتبط التجديد بتجديد الدين عامة، لورود النص به، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا".[14]

وعلى هذا النحو جاءت تفسيرات العلماء لمعنى التجديد اصطلاحا:

قال ابن الملَك الكَرمانيّ (ت: 854هـ):" أي: يبعث عالِمًا ربَّانيًا يجدّد."لها"؛ أي: لهذه الأُمة،"دِينَها"، بأن يعلّمَهم علومَ الدِّين، ويُبين لهم السُّنةَ عن البدعة، وَيكسرَ أهلَ البدعة ويُذلّهم، ويؤيدَ الدِّينَ، ويُعزَّ أهلَه، ويكثرَ العلمَ بين الناس".[15]

وقَالَ الْعَلْقَمِيُّ[16](969هـ) فِي شَرْحِهِ:" مَعْنَى التَّجْدِيدِ إِحْيَاءُ مَا انْدَرَسَ مِنَ الْعَمَلِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَمْرُ بِمُقْتَضَاهُمَا".[17]

وقال الملا علي القاري(ت:1014ه):" أَيْ: يُبَيِّنُ السُّنَّةَ مِنَ الْبِدْعَةِ وَيُكْثِرُ الْعِلْمَ وَيُعِزُّ أَهْلَهُ وَيَقْمَعُ الْبِدْعَةَ وَيَكْسِرُ أَهْلَهَا".[18]

وقال أبو الحسن المباركفوري (ت: 1414هـ):" تجديد الدين للأمة إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وإماتة البدع والمحدثات، وكسر أهلها باللسان، أو تصنيف الكتب، أو التدريس أو غير ذلك، ".[19]

وقال المودودي: المجدّد ومفهومها المجمل الظاهر يفهمه معظم الناس وهو" كل مَنْ أحيا معالم الدين بعد طموسها وجدَّد حبله بعد انتقاضه"[20]. وقال أيضاً:" التجديد في حقيقته هو: تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية ، ثم العمل على إحيائه خالصاً محضاً على قدر الإمكان "[21].

فعُلِم مما سبق أنَّ التجديد يدور حول مايلي:

أولاً: إحياء ما اندثر من معالم الدين ومن ثمة تتجدد صورته.

ثانياً: إزالة ما لصق به من شوائب ومن ثمة يتجدد رونقه.

ثالثا: اضافة ما يحويه من المعاني الدقيقة والاكتشفات الجديدة مما لا يجافي نص القرآن.

ونلاحظ أن التجديد لا يمس الجوهر، ويغيره، أو يزيله بالكلية ويأتي ما يقابله من جديد.
ويقول في هذا المعنى يوسف القرضاوي:"وتجديد الشيء ليس معناه أن تزيله ، وتنشئ شيئاً جديداً مكانه ، فهذا ليس من التجديد في شيء ، تجديد شيء ما أن تبقي على جوهره ومعالمه وخصائصه ولكن ترمم منه ما بلي ، وتقوي من جوانبه ما ضعف...إن تجديد الدين بمعنى تجديد الإيمان به وتجديد الفهم له والفقه فيه ، وتجديد الالتزام والعمل بأحكامه وتجديد الدعوة إليه "[22].

مفهوم التفسير:

التّفسير لُغةً: مصدر على وزن (تفعيل)، فعله الماضي رباعي مضعّف: (فَسَّرَ). تقول: فَسَّرَ، يفسّر، تفسيراً؛ وأصل الكلمة ثلاثي الجدر من (فسر).
قال أبو منصور الأزهري(ت:370ه):" فسر: الفَسْرُ: كشف ما غُطِّيَ. وَقَالَ اللَّيْث: الفَسْر: التَّفْسِير وَهُوَ بيانٌ وتفصيلٌ للْكتاب.. وَقَالَ بَعضهم: التَّفْسِير: كشف المُرَاد عَن اللَّفْظ الْمُشكل..." اه[23]

وقال ابن فارس(ت:375):" الْفَاءُ وَالسِّينُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ وَإِيضَاحِهِ".[24] قال مجاهد(ت:104)في تفسير هذه الآية: ﴿ **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** ﴾ [الفرقان: 33] :" أي: بَيَانًا "[25].

التّفسير اصطلاحاً:

قال محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: 1367هـ):" التَّفْسِيرُ: عِلْمٌ يُبحَثُ فِيهِ عَن القُرآنِ الكريم مِن حَيْثُ دَلاَلَته عَلَى مرُادِ الله بِقَدرِ الطَّاقَة البَشَرِيَّة". [26]

قال محمّد الطّاهر بن عاشور(ت:1393):" وَالتَّفْسِيرُ فِي الِاصْطِلَاحِ: هُوَ اسْمٌ لِلْعِلْمِ الْبَاحِثِ عَنْ بَيَانِ مَعَانِي أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا بِاخْتِصَارٍ أَوْ تَوَسُّعٍ".[27]

وقال محمد بن صالح بن عُثَيمين(ت: 1421هـ): "بَيَانُ مَعَاني القُرآنِ الكَرِيمِ" [28].

تحرير المصطلح:

عند تحرير مصطلح التّفسير يتبيّن، أنه يتعلق بالدرجة الأولى ببيان المعنى، لكن يقع الإشكال في حدّ البيان الذي يظهر به المعنى، ثم ما هو قدر البيان؟ وفي الحقيقة البيان نسبي من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل، وهذا ما يفسر نمو التّفسير وتطوره، حيث كلما نقص إدراك النّاس للبيان احتاج العلماء أن يتوسعوا في آليات البيان ووسائله، وليس هي من صلب التفسير ولا من غرضه، ولهذا نجد علماء التّفسير قيّدوا البيان بما يقع به الكشف عن المعنى، أما ما زاد عن ذلك طرحوه أو لم يعتبروه من أغرض التفسير، وهذه النقطة بالغة الأهمية حيث أن كثيراً من الباحثين في معالجتهم لقضية التجديد في التفسير، لم ينتبهوا إلى هذه النقطة ولم يحددوا المفهوم الصحيح للعملية التفسيرية وأغراضها، بحيث كيف نتكلم عن التجديد ونحن لم نضبط مفهوم التفسير ولم نضع له حداً؟.

والمحققون من علماء التفسير، يضعون للمصطلح حداً وقيداً، حتى ينضبطوا في الوظيفة التفسيرية للقرآن الكريم ولا يخرجون عن حدها، كما فعل الكثير، وسنضرب أمثلة صريحة في عصور مختلفة لعلماء التفسير يقيدون فيها مصطلح التفسير بما له أثر أو تعلق مباشر ببيان المعنى، أما ما كان غير ذلك نبهوا عليه أنه ليس من غرض التفسير، وقد يرشدون إلى مظّانه

بعض أئمة التفسير وتقييدهم للبيان بما له أثر في كشف المعنى.

قَالَ أَبُو جَعْفَر الطبري(ت:310ه): حينما تطرق إلى تفسير قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ [المائدة: 95]** :" وَأَمَّا مَا يُلْزِمُ بِالْخَطَأِ قَاتِلَهُ، فَقَدْ بَيَّنَّا الْقَوْلَ فِيهِ فِي كِتَابِنَا «كِتَابُ لَطِيفُ الْقَوْلِ فِي أَحْكَامِ الشَّرَائِعِ» بِمَا أَغْنَى عَنْ ذِكْرِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ. وَلَيْسَ هَذَا الْمَوْضِعُ مَوْضِعَ ذِكْرِهِ، لِأَنَّ قَصْدَنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ الْإِبَانَةُ عَنْ تَأْوِيلِ التَّنْزِيلِ، **وَلَيْسَ فِي التَّنْزِيلِ لِلْخَطَإِ ذِكْرٌ فَنَذْكُرُ أَحْكَامَهُ**".[29]

وقال أبو حيَّان (ت:745)، عند الكَلام عَن البَسْمَلَةِ في القرآن الكريم،: " وقد تَعَرَّضَ المفسِّرون في كتبِهم لحكمِ التَّسميةِ في الصَّلاةِ، وذكروا اختلافَ العلماءِ في ذلك، وأطالوا التَّفاريعَ في ذلك، وكذلك فَعَلُوا في غيرِ ما آيةٍ، **وموضوعُ هذا كتبُ الفقهِ**، وكذلك تكلَّمَ بعضُهم **على التَّعَوُّذِ**،

وعلى حكمه، وليس من القرآنِ بإجماعٍ، ونحنُ في كتابِنا هذا لا نتعرَّضُ لحكمٍ شرعيٍّ إلاَّ إذا كان لفظُ القرآنِ يدلُّ على ذلك الحكمِ، أو يمكِّنُ استنباطُه منه بوجهٍ من وجوهِ الاستنباطاتِ".[30]

وقال محمّد الطّاهر بن عاشور(ت:1393) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**﴾ **[البقرة: 187]**:" وَاخْتَلَفُوا فِي صِفَةِ الْمَسْجِدِ فَقِيلَ لَا بُدَّ مِنَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَقِيلَ مُطْلَقُ مَسْجِدٍ وَهُوَ التَّحْقِيقُ وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَأَحْكَامُهُ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ **وَلَيْسَتْ مِنْ غَرَضِ هَذَا الْمُفَسِّرِ**".[31]

هذه أمثلة تفي بالغرض في كون الكشف عن المعنى مرتبط بدلالة النص، أما ما زاد عن ذلك فلا يعتبر من غرض المفسر ووظيفته، وإنما هو من باب الإقحام والتوسع، وقد يكون من باب التدبر والاستنباط، والملاحظ على كثير من المفسرين في وظيفتهم التفسيرية تأثرهم بالعلوم والفنون الأخرى مما أثر ذلك على تفسيرهم؛ وقد نبه الأستاذ حسين الذهبي (ت:1398هـ) عن هذا الأثر بقوله :" وإنَّا لنلحظ في وضوح وجلاء: أن كل مَن برع في فن من فنون العلم، يكاد يقتصر تفسيره على الفن الذي برع فيه، فالنحوي تراه لا هَمَّ له إلا الإعراب وذكر ما يحتمل في ذلك من أوجه، وتراه ينقل مسائل النحو وفروعه وخلافاته، وذلك كالزَّجَّاج، والواحدي في البسيط، وأبى حيّان في البحر المحيط؛ وصاحب العلوم العقلية، تراه يعنى في تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، كما تراه يعنى بذكر شبُههم والرد عليهم، وذلك كالفخر الرازي في كتابه مفاتيح الغيب؛ وصاحب الفقه تراه قد عنى بتقريره الأدلة للفروع الفقهية، والرد على مَن يخالف مذهبه، وذلك كالجصَّاص، والقرطبي؛ وصاحب التاريخ، ليس له شغل إلا القصص، وذكر أخبار مَن سَلَف، ما صح منها وما لا يصح، وذلك كالثعلبي والخازن...وهكذا فسَّر كل صاحب فن أو مذهب بما يتناسب مع فنه أو يشهد لمذهبه...وفى الحق أن هذا غلو منهم، وإسراف يُخرج القرآن عن مقصده الذي نزل من أجله، ويحيد به عن هدفه الذي يرمى إليه".[32]

وخلاصة القول: أن تحديد وظيفة المفسر، بالغ الأهمية والشأن، لأن من خلاله نميز العملية التجديدية في المنظومة التفسيرية وفق هذا المفهوم.

هل التجديد يشمل فن التفسير؟

لقد ورد التجديد بالمفهوم العام تجديد الدين، ولذلك استشكل هل يمكن أن يكون التّجديد بالمفهوم الجزئي؟ كالتّجديد الذي يقع في فن من الفنون.

أجاب ابن حجر عن هذا الإشكال في شرحه حديث: " عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ".[33] بقوله :" لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ فِي رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ وَاحِدٌ فَقَطْ بَلْ يَكُونُ الْأَمْرُ فِيهِ كَمَا ذَكَرَ فِي الطَّائِفَةِ وَهُوَ مُتَّجَهٌ فَإِنَّ اجْتِمَاعَ الصِّفَاتِ الْمُحْتَاجِ إِلَى تَجْدِيدِهَا لَا يَنْحَصِرُ فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَلَا يَلْزَمُ أَنَّ جَمِيعَ خِصَالِ الْخَيْرِ كُلِّهَا فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ".[34]

وقال ابن الأثير (ت: 606هـ):" وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعوث: الفقهاء خاصة، كما ذهب إليه بعض العلماء، فإن انتفاع الأمة بالفقهاء، وإن كان نفعاً عامَّاً في أمور الدين، فإن انتفاعهم بغيرهم أيضاً كثير مثل أولي الأمر، وأصحاب الحديث والقُرَّاء والوعَّاظ، وأصحاب الطبقات من الزّهاد، فإن كل قوم ينفعون بفنّ لا ينفع به الآخر".[35]

وهذا أمر صحيح حيث قد يحتاج الدين لأن يجدد في بعض فنونه ، لما يصيبه من انحراف أو جمود ، فيأتي دور المجدد ليكشف عن الخلل أو النقص ، فيصلحه ليرجع الأمر بعد الإعوجاج إلى الإستقامة.

مفهوم التجديد في التفسير:

سنلحظ أن عبارات العلماء في وصفهم العملية التجديدية في فن التفسير تختلف في آلياتها ووسائلها، إلا أنهم متفقون في الجملة على أن التجديد ليس المقصود به تغيير التّفسير جملة وتفصيلا في منهجه ومعطياته وأصوله، أو المساس بجوهره ومضمونه، أو إزلته وطرحه بحجة أنه قديم ولا يواكب العصر ومستجداته؛ أما اختلافهم في آليات التجديد ووسائله فهو أمر طبيعيٌ، لأن لكل عصر دواعيه ومقتضياته في التجديد، تختلف بطبيعة الحال من كل عصر لآخر.

"إذاً ليس يقصد بهذا العنوان أن نأتي بتفسير لم يسبق إليه سابق مما يترتب عليه إلغاء التفسير السابق فإن هذا لا يعد من العلم في فتيل ولا قطمير ، وإنما هو من هدم ما بناه الأقدمون دون مناسبة داعية لذلك ولكن الذي أعنيه بهذا العنوان هو مواكبة التفسير لحاجات العصر وإصلاحها بحيث لا يغدو التفسير حبيس الأوراق والكتب وإنما ينطلق لاصلاح واقع الناس وتلبية

حاجاتهم الدينية والنفسية".[36]

ولذلك نجد الطاهر بن عاشور يصف التجديد في كتابه الماتع، «أليس الصبح بقريب» والمتضمن لمعالم التجديد في شتى فنون العلم:" إن الوصف الذي يجدر أن يؤسسَ عليه إصلاح علم التّفسير ويكون منخولا من التفاسير، هو أن تفسير التراكيب القرآنية جرياً على تبيين معاني الكلمات القرآنية بحسب استعمال اللغة العربية، ثمَّ أخذ المعاني من دلالة الألفاظ والتراكيب وخواص البلاغة، ثمَّ استخلاص المعاني المدلولة منها بدلالات المطابقة والتضمين والالتزام، مما يسمح به النظم البليغ، و لو تعدّدت المحامل والاحتمالات، ثمَّ نقل ما يؤثر عن أئمة المفسرين من السلف و الخلف مما ليس مجافياً للأصول ولا للعربية، أن يتجنب المفسِّر الاستطراد والاندفاع في أغراض ليست من مفادات تراكيب القرآن، فيجعل الآيات منافذ يخرج منها إلى أغراض دعائية أو مذهبية أو حزبية".[37]

وفي هذا النص المقتضب عالج الطاهر بن عاشور الثنائية بين التجديد والمحافظة على الموروث التفسيري، ثم نبه إلى قضية مهمة في ضبط وظيفة المجدد في المنظومة التفسيرية، وهي ألآ ينجر المفسر إلى أغراض دعائية أو مذهبية أو حزبية، وأن يبقى تجديده وفق طاقة ما تتحمله دلالة النص، بالشروط المعروفة في المنظومة التفسيرية.

ويصف إبراهيم الشريف التجديد في التفسير أنه:" استلهام آيات القرآن الكريم، والتوجيه والهداية في كل ما يعترض حياتنا وما يمس العقيدة والأخلاق أو يدخل في بناء مجتمعاتنا وسياساتنا واقتصادنا، بما يكشف عن وفاء القرآن الكريم بحاجة البشرية وفاءً لا يعوزها إلى غيره من طرائق الهدايات، على أن يكون رائدنا في استلهام النّص ألا نفرض عليه ثقافتنا وعلومنا أو نخلع عليه من فلسفاتنا وآرائنا، بل أن نأخذ من النّص-مستعينين بما تقدم- ما يعطينا من قيم، أو يدل عليه من آراء ومعتقدات، أو يوصي به من أفكار علمية أو اجتماعية، حتى ولو لم تتفق مع ما نعلمه من ذلك".[38]

نلاحظ في هذا النص مجموعة من الاحترازات التي تضبط أيضا هذا التجديد وفق ضوابط تحافظ هي أيضا على الموروث التفسيري للقرآن الكريم، إلا أننا نشير أن دائرة التدبر والاستنباط من القرآن الكريم أوسع من دائرة تفسير النصوص المتعلقة بمجرد النص القرآني.

ومن الباحثين من ميّز بين مفهوم التجديد الصحيح، والتجديد الذي يتغنى به دعاة الحداثة والتنوير، فأطلق تقسيمين للتجديد في التفسير.

التجديد الشرعي للتفسير: ووصف بأنه إعادة رونق التفسير وصفائه بعد تنقيته، وإحياء ما اندرس منه، ونشره بين النّاس بلغة العصر، فهذه ثلاثة محاور للتجديد التفسيري الشرعي المنضبط.

أما التجديد بالمفهوم الآخر: فمعناه الانقضاض على التراث التفسيري وثوابته وكلياته، وهدمها وبنائها بناءً جديداً بنفسيه المهزوم..لموافقة ما تدعو إليه الحضارات الميسطرة على الإسلام والمسلمين، مع إيجاد مفاهيم وقواعد وأحكام جديدة في الدين بحيث تتناسب وتتماشى مع الحضارة العالمية الغربية المعاصرة.

فإذاً شتان بين نوعيْ التجديد، فالأول تجديد للبناء، والثاني: تجديد للهدم والإزالة.[39]

وهذا المنهج الثاني في التجديد، راح إلى أبعد الحدود حيث لم يقتصر على تجديد التأويل بمفهومه فحسب، بل راح يجدد المعالم والأصول التي تقوم عليها هذه المنظومة المتكاملة، بل التشكيك في ماهيتها وجوهرها، ونقدها بمفاهيم غربية لا تجعل للنّص قداسة أصلاً، ويقول بهذا الصدد زعيم هذه الطائفة أركون: " قراءات جديدة من أجل الخروج كليًّا ونهائيًّا من كلّ البلاغيات التّعسفية، ومن كلّ التّركيبات المنطقية الاصطناعية، ومن كلّ الأنظمة الخادعة المفروضة بعد فوات الأوان من قبل الجماعات الفقهية اللاهوتية التّبجيلية"[40] وهو بذلك يؤسس منظومة مخالفة لجميع علماء التفسير في أصولهم رغم اختلاف مذاهبهم ونحلهم، وهو يصبوا إلى اقترح ثلاث مقاربات يمكن من خلالها دراسة القرآن الكريم واصطلح عليها، الأولى: القراءة التاريخية(الأنتروبولوجية) والثانية: الألسنية [41]والسيميائية، والثالثة: القراءة الإيمانية.

ولست بصدد الرد على مثل هذه الأفكار الشاذة، بل هي غير معتبرة أصلاً في ساحة العلماء المتخصصين، لكن أردنا فقط أن ننبه إلى مثل هذه الأفكار، التي تريد أن تقحم نفسها في منظومات التجديد ورواده.

وأجدني ألحظ في كثير من التعريفات السابقة للتجديد في فن التفسير، مقصورة على التجديد الذي يراه المجدد وفق منظوره هو، وتحت إطار زمنه وبيئته المحددة، دون الإشارة إلى التجديد

الذي قد يحصل وفق الفترة الزمنية أو البيئة الجغرافية عبر مختلف المراحل التاريخية، وبتالي نفتقر إلى تعريف جامع مانع.

ونستطيع القول كمحاولة منا، أن **التجديد في التفسير:** هو تفسير القرآن على ما تقتضيه الحاجة والضرورة من كل عصر وبيئة، حتى يرجع إلى رونقه وصفاءة بغية فهمه فهما سليما، يلبى احتياجات كل عصر وبيئة، مع إحياء ما اندرس، وإزالة ما يناقض روح القرآن ومقصده أو ما علق به مما ليس منه، بطريقة وحُلَّة مواكبة ومناسبة لمقتضيات كل عصر وبيئة.

وقيل هو:" التوجه إلى التفسير وتنقيته من الشوائب والبدع، وإحياء ما اندرس منه، وإبراز هدايات القرآن، وتنزيلها على واقع الناس ومستجدات حياتهم، مع مخاطبتهم بلغة عصرهم".[42]

المبحث الثاني: دواعي التجديد متطلباته:

من الواضح في المنظومة التفسيرية، أن التفسير شهد تطورا في الكم والنوع، من حيث الأسلوب والمنهج، وهذا التطور له دواعي بها يتضح مجال التجديد، حيث ومن اللحظة الأولى شهد نموا من عصر الصحابة رضي الله عنهم فما بعدهم إلى يومنا هذا، وهنا يبرز السؤال التالي: ما هو سبب هذا التطور والنمو؟ ولماذا لم يقتصر الصحابة رضي الله عنهم على مجرد تفسير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، ثم لماذا لم يقتصر التابعون على مجرد تفسير الصحابة رضي الله عنهم؟ وهكذا..ومن هنا يتأكد على الباحث الغوص في هذه القضية والإشكال ما هي دواعي التجديد في كل مرحلة تاريخية وما هو الجذع المشترك في جميع المراحل.

أولاً: الحاجة إلى البيان: هذه من أهم القضايا التصورية للمنظومة التفسيرية، وذكرنا أن التفسير مرتبط بالبيان أصلاً، وعلمنا اصطلاحا أن التفسير: هو بيان معاني القرآن الكريم؛ لكن ما هو قدر البيان؟ هنا لا نستطيع تحديد قدر البيان لأنه متعلق بالحاجة إلى البيان، وكلما نقص إدراك الناس للبيان احتاج العلماء أن يتوسعوا في التفسير، فالصحابة رضي الله عنهم هم أتم النّاس معرفة وإدراكا للبيان وآلياته، لذلك كان السؤال حول التفسير في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قليلاً، أو كان تحت دائرة ضيقة جداً ، كوقوع الإلتباس بين الألفاظ بين العموم والخصوص، كما هو الشأن في توهمهم المعنى العام لكلمة الظلم في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: 82]، فبيّن لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المقصود الخاص من عموم الظلم في الآية الكريمة أنه الظلم الأعظم وهو الشرك حيث ورد عنه : " ليس كما تقولون ﴿لم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ [الأنعام: 82] بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: 13] ".[43] ثم لما جاء جيل التابعين، احتاج التابعون لبعض البيان الذي لم يدركوه بسبب عدم معايشتهم لنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونزول القرآن، فكانت الحاجة ماسة للسؤال عن أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وأحوال العرب وغيرهم من الأمم في فترة زمن الوحي، مما اختص به الصحابة رضي الله عنهم دون غيرهم، فهذا عروة: يسأل عائشة رضي الله عنها فقال لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ [البقرة: 158]، فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه، كانت: لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهل يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ [البقرة: 158]. الآية قالت عائشة رضي الله عنها: «وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما».[44]

ثم لما جاء أتباع التابعين، ازدادت دائرة السؤال حول التفسير، فكان السؤال حول ما سأل عنه التابعون والصحابة وزيادة، وهذه الزيادة لها سبب آخر متعلق بعصرهم وهو بداية نقص إدراك النّاس للسان العربي، الذي نزل به القرآن الكريم، بسبب دخول الأعاجم إلى الإسلام والذي كان أعظمَ سبباً في ظهور اللحن، ثم بعد ذلك ظهرت البدع والأهواء وأصبح أهلها يستشهدون على باطلهم بدلالات القرآن، فحتاج المفسرون أن يجددوا معالم التفسير من الشوائب والبدع، وهكذا لكل عصر مقتضياته، ولذلك نجد حبر الأمة ابْن عَبَّاسٍ يحدد هذا البيان في القرآن بقوله : " التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: وَجْهٍ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ

الْعُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ".[45]

فجيل الصحابة مثلاً لم يكونوا بحاجة ماسة إلى تفسير الآيات والكلمات في بنيتها اللغوية إلاّ نادراً فيما تعلق بلغات العرب فهم عرب بالسليقة، بخلاف من جاء بعدهم فاللسان العربي شهد نقصا في إدراكه وتداركه، ومنزلة العلم به انحطت عن مرتبة الصحابة، فحتاج الناس إلى البيان من هذه الجهة.

ثانياً: الحاجة إلى تصحيح المفاهيم: إن تاريخ المنظومة التفسيرية لم ينفك، عما شهدته الأمة من صراعات سياسية ،وفكرية، وعقائدية... زجت ببعض العلماء، لتأويل القرآن نصرة لأهوائهم، أو لنعرات سياسية أو فكرية أو قومية، وهذا شان بهاء التفسير وعكر صفائه، مما احتاج لنهضة تجديدية تذب عن بهائه وصفائه. هذه كلها دواعي تجعل المفسّر يفكر في العملية التجديدية وآلياتها، وكل حسب ما تقتضيه دواعي عصره، ولهذا نستطيع القول أن التجديد في التفسير لا يقتصر على عصر معين، أو بيئة معينة بل هو يجاري الظروف والحاجة إلى ذلك من دواعي ومقتضيات.

ويسجل لنا التاريخ أخطر فرقة قديمة انتهجت نظرة استعلائية ضيقة الأفق في فهمها للقرآن الكريم، حيث لم تحترم المنظومة التفسيرية، بل انخرمت عندها الثنائية بين التأصيل والتجديد في أبشع صوره، حيث راحت تكفر مجتمع الصحابة رضي الله عنهم بفهمها السطحي لنص القرآن الكريم، ولذلك لما ناظر ابن عباس رضي الله عنه الحرورية قالوا له فما جاء بك؟ فقال: " أتيتكم من عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، لأبلغكم ما يقولون، وتخبرون بما تقولون ، فعليهم نزل القرآن ، وهم أعلم بالوحي منكم ، وفيهم أنزل وليس فيكم منهم أحد".[46]

ونستطيع أن نحلل توجيهات ابن عباس للحرورية فيما يلي: قال: " أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أي هؤلاء الذين تنقمون عليهم وتختلفون معهم، هم صَحَابَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبكل ما توحي به هذه الصحبة من الفضل والتزكية، ، ثم زاد قيدا ليقوي الحجة، فهؤلاء الصحابة "مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ"، ليشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100]؛ وإلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: 117]، فإن كان هذا شأنهم وفضلهم، فما هو شأنكم وفضلكم؟! ثم يستمر ابن عباس في تقريراته بقوله: "لِأُبَلِّغَكُمْ مَا يَقُولُونَ" ليوحي إلى تلازم بين المقدمة الأولى والثانية، وهي إن عرفتم حقيقة فضلهم، فعرفوا قدر مرتبتهم في العلم، ثم يبرهن ابن عباس على المقدمة الثانية في صواب قولهم ورجحانه بقوله: " فَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ , وَهُمْ أَعْلَمُ بِالْوَحْيِ مِنْكُمْ , وَفِيهِمْ أُنْزِلَ " ونلاحظ بجلاء كيف يذب ابن عباس على المنظومة التفسيرية بتقرير أصولها، ويختم بقوله :" وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ" ليلصق الخصائص بأصحابها والمميزات بذويها، والفضل لأهل الفضل، كما يلمح ابن عباس إلى وحدة الفهم للقرآن الكريم عند الصحابة رضي الله عنهم وبخاصة في مثل هذه المواقف، فإن كانوا قد اختلفوا سياسيا فهم لم يختلفوا في فهم القرآن بل تحاكموا إليه، بخلاف الخوارج تحاكموا عليه، بِأَفْهَامٍ كَلَيْلَةٍ، وَأَبْصَارٍ عَلِيلَةٍ، وَنَظَرٍ مَدْخُولٍ، فَحَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، لِيُؤَسِسُوا بذلك منهجاً منحرفاً؛ لتَّعيشَ الأمةُ مَسَاوِئَه إلى يومنَا هذا -والله المستعان-.

ودون الخوض في تفاصيل المناظرة، والقصة معلومة في مظانها[47]نستطيع القول أن ابن عباس رضي الله عنه جدّد للحرورية فهمهم للقرآن الكريم بدليل رجوع طائفة كبيرة منهم. فابن عباس رضي الله عنه عالج واقع عصره في ضوء المنظومة التفسيرية دون المساس بجوهرها وأصولها، ومن هنا لا بد على كل مجدد أن يجدد من منطلق واقعه حسب كل عصر ودواعيه ومقتضياته.

ثالثاً: الحاجة إلى مواكبة العصر: وهنا لا نقصد بذلك مصادمة التفاسير الأخرى، بل الحاجة إليها ماسة في فهم المنظومة التفسيرية، وإنما نقصد بذلك كيف نتفاعل مع القرآن في كل زمان ومكان ، بما يسمى بالتفسير التفاعلي، فالمجدد مثل الطبيب يدرس أولاً المرض ثم يسقط الدواء المناسب على المريض حتى تكون النتيجة إجابية، فالدواء في الحقيقية موجود ضمن سلسلة من الأدوية، لكن الإشكال في اختيار الدواء المناسب، في الزمن المناسب وفق وصفة مناسبة، هكذا يجب على المفسر أن يجد التفسير المناسب في الوقت المناسب بالطريقة المناسبة، وهذه ليست دعوة إعادة

القراءة، بل مَثَلنَا كما سلف أن الدواء موجود أصلاً، فكذلك التفسير موجود، لكن ما هي طرق تقريبه إلى أذهان الناس، ولعلي آخذ مثالاً عملياً على ذلك، ففي قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (12) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (13) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ**﴾ **[الزخرف: 12 - 14]** ، فعندما نريد أن نفسّر وفق عصرنا الحديث، عظمة الرب في نعمائه وتسخيره لنا، لوسائل الركوب، فمن التقصير أن نقتصر على نعمة الأنعام وركوبها، ونترك ما سخره جل وعلا في علاه، من وسائل النقل الحديثة المريحة، جواً وبراً وبحراً، فعظمة الله تتجلى في هذه الوسائل ولها أثر في النفوس أعظم، وهذا من خلال بيان قدرة الله وعظمته، في تسخير المكونات الأساسية في صنع هذه الوسائل من نعمة الحديد والزجاج والألمنيوم وغيرها من المعادن التي تتكون منها هذه الوسائل، ثم من نعمة البترول ومشتقاته، التي تتوقف عليها سير تلك المركبات الحديثة، إلى هبة نعمة العقل الذي استطاع أن يبدع في استخراج المعادن وتعلم خصائصها، واختراع هذه الوسائل، وهذا كله تتجلى فيه قدرة الله جلّ وعلا، ولو أننا اقتصرنا على مجرد التفسير الأثري، دون الخوض في هذه التجليات الربانية من وسائل حديثة مسخرة بقدرة الله وفضله، لضاع مقصد التسخير المذكور في الآية وهو مقصد كوني شرعي وإن اختلفت وسائله، ونحن بذلك نخاطب أهل زماننا ممن وقف على هذه الوسائل الحديثة، وهنا أيضا على المفسر أن يبرهن على أن ما توصلت إليه البشرية من التطور العجيب، ما كان ليحصل لولا ابداع الله في هذا الكون؛ قال تعالى: ﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ **[البقرة: 117]** ؛ وقال: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ **[الأنعام: 101]**. ولطالما تسائلت فرضا أن الله لم يخلق مكون من المكونات الموجودة في الأرض مثل الزجاج أو الحديد أو غيره من المعادن، فأنى للبشرية أن ترتقي إلى ما ارتقت إليه من مرتبة التفوق الحضاري، وهذا مقصد شرعي لا بد من اجلائه وتوضيحه في زمننا ، فتسخير الله وفق حكمته وعلمه، وهو العليم بما يحتاجه الإنسان في دورته الحياتية، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ**﴾ **[لقمان: 20]** ، وما ذكرناه آنفا في تسخير الفلك والأنعام وحث المجدد على مواكبة العصر أشار إليه القرآن نفسه صراحة في قوله تعالى: ﴿ **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ **[النحل: 8]** ، وهنا دور المجدد في اجلاء عظمة الله من خلال تلك المعاني وربطها بواقع الأمة، حتى يحقق التفاعل مع عصره ومتطلباته العلمية والثقافية والفكرية...ليظهر عظمة الله في ذلك بما يعجزن عنه البشر؛ لا لما يكون لهم صاد عن فهمه وتدبر معانيه ومقاصده.

المبحث الثالث:مجالات التجديد:

من المهم جداً أن نوضح ونحدد ما هي المجالات التي يقع فيها التجديد؟ وفي المقابل ما هي المجلات التي يجب أن نحافظ عليها ونبرزها ولا نغير من معالمها؟ وهذه النقطة مهمة جداً، حيث أنّ كثيراً من الباحثين ممن تناول موضوع التجديد، لم يحدد بشكل دقيق مجالات التجديد، وإنما اقتصر على النماذج من دعاة الإصلاح وغيرهما، كما أنهم لم يفرقوا بين العملية التفسيرية المباشرة للنص، وبين الاستثمار في النص من خلال ربطه بالواقع واستنباط مواطن الشبه، حتى نستغل ذلك في إصلاح الواقع المعيش.

وسنحاول إبراز مواطن التجديد، وبيان شروطها، والتمييز بينها وبين أدعياء التجديد.

أولا: التجديد في البيان:إن فلسفة التجديد في البيان لا نقصد بها التجديد في نفس البيان الذي وقع به تفسير القرآن في أطواره الأولى، بحيث ذلك قدر مشترك في فهم الخلف مع السلف، وإنما نقصد ذلك القدر الزائد من البيان الواقع جراء نقص الإدراك عند المتفهم للقرآن الكريم حيث كلما نقص إدراك الناس للبيان ومؤهلاته، احتاج المفسّر إلى بيان إضافي لم تكن الناس بحاجة إليه من قبل، وهذا القدر الزائد من البيان لا يجافي الأصل الأول، بل ينبني عليه وفق المتغيرات العلمية والثقافية والاجتماعية، وهذه مسألة جوهرية في مفهوم التجديد ومعالمه، وأرى أن أول من أشار إلى هذه المسألة، الإمام الشافعي(204) حيث قال:" والبيان اسم جامع لمعاني مجتمعة الأصول متشعبة

الفروع. فأقل ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعبة أنها بيان لمن خوطب بها ممن نزل القرآن بلسانه متقاربة الاستواء عنده وان كان بعضها أشد تأكيد بيان من بعض ومختلفة عند من يجهل لسان العرب".[48]

ونستطيع القول أن ثمة جملة من الحقائق والمسائل في هذا الشاهد وهي كالآتي[49]:

- إن البيان لا ينحصر في معنى بل هو اسم جامع لمعاني مجتمعة الأصول متشعبة الفروع ،وهذا يؤسس لمبدأ انفتاح النص على كل معانيه، وبالطبع وفق ما تستوعبه طاقاته الدلالية، ويؤكد هذا القول ويدعمه الشافعي نفسه في موضع آخر من رسالته:" البيان يكون من وجوه، لا مِن وَجْهٍ واحد، يَجْمَعُها أنها عند أهل العلم بَيِّنَةٌ ومُشْتَبِهَةُ البَيَانِ، وعند مَن يقصِّرُ عِلْمُه مُخْتلفة البَيَانِ".[50]
- إن الفهم الذي لا يمكن تجاوزه والتقصير عنه والذي سماه الشافعي:" فأقل ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعبة أنها بيان لمن خوطب بها ممن نزل القرآن بلسانه ". وبذلك يشير إلى أن البيان واقع لمن أوتي اللسان الذي نزلت به الشريعة، ووصف في موضع من رسالته وضع العرب في فهمهم لآيات القرآن فقال: "وليس يختلف عند العرب وضوح هذه الآيات معا؛ لأن أقل البيان عندها كاف من أكثره، إنما يريد السامعُ فَهْمَ قول القائل، فأقل ما يفهمه به كافٍ عنده"[51].
- وهذا أمر في غاية الوضوح، فالقرآن كان يخاطب العرب قاطبة، وبالخصوص القرآن المكي الذي أقرع اسماع كفار قريش من إعجاز البلاغة والمعاني المتراكمة والفصاحة المتناهية، ولم نجد في التاريخ المنقول، أن العرب احتاجت لفهم أو بيان مدلولات تلك الألفاظ، لأن أصلاً القرآن نزل بلسان القوم، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: 4]** ، وهذا هو أقل البيان وأقواه، لأنه لا يعتمد على آليات تقريبية للمعنى، وإنما ينصب المعنى في الدهن مباشرة من غير وسيلة، لم يسأل أحد النبي صلى الله عليه وسلم عن المدلولات اللغوية، لأنهم عرب وهو عربي.
- إن الفهم الذي هو أقل البيان متقاربة الاستواء عند من خوطبوا به فلا تتفاوت مستويات فهمهم له تفاوتا بعيداً.
- إن بيان الكتاب والسنة مختلف عند من يجهل لسان العرب فمن لم يفهم الكتاب والسنة على مقتضى الفهم العربي، فقد قَصُر فهمه حتما عن الفهم الذي هو أقل البيان.
- إن كل المعاني مجتمعة الأصول متشعبة الفروع ينبغي أن تترتب على مراعاة فهم المخاطبين بالقرآن والسنّة، لأن ذلك الفهم هو الحد الأدنى الجامع بينهما.

ومن خلال هذه النتائج نخلص إلى أن الإمام الشافعي أسس لنظرية مراتب البيان، فأقل البيان لا يمكن المساس به ولا يقع فيه التجديد أصلاً و لا يقبل التّجدد، وإلاّ ضاعت وظيفة اللغة وأصبحت لعبة في يد العابثين، كما يصبوا إلية دعاة الحداثة. فدلالات اللغة الأصلية سد منيع أمام تلاعبات فكرة النص المفتوح وغيرها من النظريات الغربية.

أما المرتبة الأخرى فهي غير مستقرة ولا محددة حيث تختلف فيها درجات البيان حسب حاجة كل عصر وما يؤهله لفهم خطاب الشارع، وهذا هو الجانب التجديدي في التفسير، والمفسر الذي يستحق لقب المجدد، هو من يستطيع تلبية هذه الحاجيات وفق متطلبات عصره؛ دون أدنى مناقضة لأصل البيان، ونجد الطاهر بن عاشور، يعبر عن هذه المسألة بقوله: " إنَّ مِقْدَارَ أَفْهَامِ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ ابْتِدَاءً

لَا يَقْضِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيُّ مَفْهُومًا لَدَيْهِمْ، فَأَمَّا مَا زَادَ عَلَى الْمَعَانِي الْأَسَاسِيَّةِ فَقَدْ يَتَهَيَّأُ لِفَهْمِهِ أَقْوَامٌ، وَتُحْجَبُ عَنْهُ أَقْوَامٌ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ".[52]

وقد نشبه هذا بالبحر حين نرى سطحه، تكاد تتساوى في رؤيته الأنظار، لكن تختلف حينما نغوص في أعماقه حسب مراتب الغوص وآلياته.

التجديد بين البيان الأصلي و البيان الإضافي:

تقوم فلسفة التجديد وعدمه، على مبدأ المحافظة على حقيقة النص الشرعي المراد افهامه أصالة، أما البيان الإضافي فيقوم على إفهام النص فهما زائدا دون المساس بالفهم الأصلي، الذي هو اللب.

وهذه النقطة أشار إليها ابن القيم الجوزية بوضوح فقال:" دلالة النصوص نوعان: حقيقية، وإضافية، فالحقيقية تابعة لقصد المتكلم وإرادته، وهذه الدلالة لا تختلف، والإضافية تابعة لفهم السامع وإدراكه، وجودة فكره وقريحته، وصفاء ذهنه، ومعرفته بالألفاظ ومراتبها، وهذه الدلالة تختلف اختلافًا متباينًا بحسب تباين السامعين في ذلك".[53]

ومن جملة ما لايقع فيه التجديد، هي ثوابت الشريعة من جملة الأحكام الشرعية القطعية، والعقائد والأخبار، والغيب بصفة عامة، وهذه صفة ثبوتية في القرآن الكريم، فلا الزمان ولا والمكان ومتطلباته ، ولا التطور والحضارة تستطيع أن تزيل أو تغير أو تعدل هذه الصفة، لأنها ثابتة في القرآن لا يمكن المساس بها، بأي حال من الأحوال، قال تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ **[الأنعام: 115]** ؛ قال أبو السعود (ت: 982هـ):" والمعنى أنها بلغت القاصيةَ صدقاً في الإخبار والمواعيدِ وعدلاً في الأقضية والأحكامِ لا أحدَ يبدل شيئاً من ذلك بما هو أصدقُ وأعدلُ ولا بما هو مثلُه فكيف يُتصوّر ابتغاءُ حكمٍ غيرِه".[54] ولهذا نجد الشَّاطِبي (790هـ) يصف هذا الثبوت في القرآن الكريم في جزئية الأحكام الشرعية، بقوله: " الثُّبُوتُ مِنْ غَيْرِ زَوَالٍ؛ فَلِذَلِكَ لَا تَجِدُ فِيهَا بَعْدَ كَمَالِهَا نَسْخًا، وَلَا تَخْصِيصًا لِعُمُومِهَا، وَلَا تَقْيِيدًا لِإِطْلَاقِهَا، وَلَا رَفْعًا لِحُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِهَا، لَا بِحَسَبِ عُمُومِ الْمُكَلَّفِينَ، وَلَا بِحَسَبِ خُصُوصِ بَعْضِهِمْ، وَلَا بِحَسَبِ زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ، وَلَا حَالٍ دُونَ حَالٍ، بَلْ مَا أُثْبِتَ سَبَبًا؛ فَهُوَ سَبَبٌ أَبَدًا لَا يَرْتَفِعُ، وَمَا كَانَ شَرْطًا؛ فَهُوَ أَبَدًا شَرْطٌ، وَمَا كَانَ وَاجِبًا؛ فَهُوَ وَاجِبٌ أَبَدًا، أَوْ مَنْدُوبًا فَمَنْدُوبٌ، وَهَكَذَا جَمِيعُ الْأَحْكَامِ؛ فَلَا زَوَالَ لَهَا وَلَا تَبَدُّلَ، وَلَوْ فُرِضَ بَقَاءُ التَّكْلِيفِ إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ؛ لَكَانَتْ أَحْكَامُهَا كَذَلِكَ".[55] فلا يأتينا مدعٍ في آخر الزمان، فينكر ثوابت أستقر عليها القرآن بحجة عصرنة القرآن، وقد تفطن أبو بكر رضي الله عنه لهذه الدعوة فيمن أراد أن يفرق بين أحكام الله الثابتة في نص القرآن الكريم حيث قال: "والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عَناقًا كانوا يؤدونها لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقاتلتهم على منعها".[56]

إذن مجال التجديد لا يمكن أن يقع في خانة الدلالة الأصلية لمراد الشارع، فهذه لا يمكن المساس بها بحال من الأحوال، اللهم إلاّ إذا أبرزنا هذه الدلالة ودافعنا عنها، وسمينا ذك الفعل تجديداً، من باب إحياء ما اندرس منه، ونشره بين النّاس.

وأقرب الناس فهماً لهذه الدلالة الأصلية، صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم التابعين وأتباعهم، وهذا ليس من باب تمجيد التراث والجمود عليه، بل لمؤهلات وخصائص، تأتت لهم دون غيرهم، فهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، كما أنهم شهدوا الوقائع والقرائن ووقفوا على عادات العرب والأمم الأخرى في عصرهم، وبالطبع لم تكن تحكمهم نعرات طائفية، ولا مذاهب فلسفية، ولهذا أجمع العلماء على تقديم تفسير الصحابة على غيرهم من المفسرين، قال ابن تَيْمِيَّة (728هـ): " وَ حِينَئِذٍ إِذَا لَمْ نَجِدْ التَّفْسِيرَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ رَجَعْنَا فِي ذَلِكَ إلَى أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ فَإِنَّهُمْ أَدْرَى بِذَلِكَ لِمَا شَاهَدُوهُ مِنْ الْقُرْآنِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي اخْتَصُّوا بِهَا؛ وَلِمَا لَهُمْ مِنْ الْفَهْمِ التَّامِّ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لَا سِيَّمَا عُلَمَاؤُهُمْ وَكُبَرَاؤُهُمْ كَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ".[57] وأكد الشَّاطِبي (790هـ) ذلك بقوله: " وَلَكِنَّهُمْ يَتَرَجَّحُ الِاعْتِمَادُ عَلَيْهِمْ فِي الْبَيَانِ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَعْرِفَتُهُمْ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ؛ فَإِنَّهُمْ عَرَبٌ فُصَحَاءُ، لَمْ تَتَغَيَّرْ أَلْسِنَتُهُمْ وَلَمْ تَنْزِلْ عَنْ

رُتْبَتِهَا الْعُلْيَا فَصَاحَتُهُمْ؛ فَهُمْ أَعْرَفُ فِي فَهْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَإِذَا جَاءَ عَنْهُمْ قَوْلٌ أَوْ عَمَلٌ وَاقِعٌ مَوْقِعَ الْبَيَانِ؛ صَحَّ اعْتِمَادُهُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ. وَالثَّانِي: مُبَاشَرَتُهُمْ لِلْوَقَائِعِ وَالنَّوَازِلِ، وَتَنْزِيلِ الْوَحْيِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَهُمْ أَقْعَدُ فِي فَهْمِ الْقَرَائِنِ الْحَالِيَّةِ، وَأَعْرَفُ بِأَسْبَابِ التَّنْزِيلِ، وَيُدْرِكُونَ مَا لَا يُدْرِكُهُ غَيْرُهُمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَالشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ".[58]

وتأكيد الكلام على أقرب الناس فهما للدلالة الأصلية، فيه تلميحا لكل مجدد أن يحترم هذه الطبقة بالخصوص، حتى يحقق للمنظومة التفسيرية تأصيلا يرجع إليه في البيان، لأن الاستقلالية عن هذه المنظومة التفسيرية والتي من ضمنها تفسير الصحابة لا يتحقق التجديد المنشود إلا في ضوءها وتحت كنفها.

أما التجديد الإضافي:

ونقصد به ما يتولد من المعاني والأفكار وفق ما تسمح به اللغة واتساعها مما لا يجافي البيان الأصلي الذي ذكرناه وأنه لا يمكن المساس به بحال من الأحوال، فباب المعاني باب واسع وقد أشار الطاهر بن عاشور إلى هذا المعنى بقوله :" أَنَّ السَّلَفَ قَالُوا: إِنَّ الْقُرْآنَ لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ يَعْنُونَ مَعَانِيَهُ وَلَوْ كَانَ كَمَا قَالَ الشاطبي لَا نقضت عَجَائِبُهُ بِانْحِصَارِ أَنْوَاعِ مَعَانِيهِ".[59] واستمرارية المعاني، تعتبر عملية خطيرة بل سلاح ذو حدين، لذلك لا بد من وضع ضوابط وشروط لهذه العملية، حتى لا يقع الالتباس في تلك المعاني الباطلة بحجة أن القرآن لا تنتهي معانيه، ولهذا نؤكد على فهم نسق المنظومة التفسيرية، وهذا الوعي كان حاضراً لذا الطاهر بن عاشور الذي عاش في زمن الانهزامية، ولم يتأثراً سلباً بذلك في تفسيره ومنهجه بل وضع ضوابطاً وشروطاً، حتى لا ينزلق كل ناعق ومتشوف لأي تجديد، حيث قال: " وَلَا شَكَّ أَنَّ الْكَلَامَ الصَّادِرَ عَنْ عَلَّامِ الْغُيُوبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ لَا تُبْنَى مَعَانِيهِ عَلَى فَهْمِ طَائِفَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَكِنَّ مَعَانِيَهُ تُطَابِقُ الْحَقَائِقَ، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنَ الْحَقِيقَةِ فِي عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ وَكَانَتِ الْآيَةُ لَهَا اعْتِلَاقٌ بِذَلِكَ فَالْحَقِيقَةُ الْعِلْمِيَّةُ مُرَادَةٌ بِمِقْدَارِ مَا بَلَغَتْ إِلَيْهِ أَفْهَامُ الْبَشَرِ وَبِمِقْدَارِ مَا سَتَبْلُغُ إِلَيْهِ. وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمَقَامَاتِ وَيُبْنَى عَلَى تَوَفُّرِ الْفَهْمِ، وَشَرْطُهُ أَنْ لَا يَخْرُجَ عَمَّا يَصْلُحُ لَهُ اللَّفْظُ عَرَبِيَّةً، وَلَا يَبْعُدُ عَنِ الظَّاهِرِ إِلَّا بِدَلِيلٍ، وَلَا يَكُونُ تَكَلُّفًا بَيِّنًا وَلَا خُرُوجًا عَنِ الْمَعْنَى الْأَصْلِيِّ حَتَّى لَا يَكُونَ فِي ذَلِكَ كَتَفَاسِيرِ الْبَاطِنِيَّةِ".[60]

وهذه الشروط ضرورية في المحافظة على المنظومة التفسيرية من الدخيل، فقد تتولد معاني جديدة يقتصر فيها الحال على فهم طائفة معينة دون الأخرى، وقد يزعم البعض أن بعض دلالات القرآن لم تكن مفهومة حال نزول الخطاب، ولا سبيل لفهمها بمجرد لغة القوم، وهذا الزعم كفيل أن يَدخلَ في بدع التفاسير؛ قال الشاطبي (ت 790هـ):" إِنَّمَا يَصِحُّ فِي مَسْلَكِ الْأَفْهَامِ وَالْفَهْمِ مَا يَكُونُ عَامًّا لِجَمِيعِ الْعَرَبِ، فَلَا يُتَكَلَّفُ فِيهِ فَوْقَ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ بِحَسَبِ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي... وَإِلَّا كَانَ خَارِجًا عَنْ حُكْمِ مَعْهُودِهَا ".[61] فمن شرط الدلالة الإضافية عدم كونها مقصورة على دلالة تجافي الدلالة الأصلية وتخطئها، وتدعي أن النّص كان يفتقر للأزمنة الحضارية المتقدمة في فنون العلم والحياة وإدارتها، للكشف عن المعنى الصحيح، وهذا الإدعاء لا شك في بطلانه وخطورته وما يترتب عليه، ومن أعظم ما يترتب عليه جهل الأمة بدلالات القرآن بما فيهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زمن دعوة التجديد، أما لو كانت الدعوة التجديدية كشفت عن وسيلة جديدة في تقريب المعنى، دون رد الدلالة الأصلية وتسفيهها، ننظر في الأمر من جهة اعتبار اللفظ وتحمله وتقبله لهذا المعنى الجديد ، وهذه المسألة أورد فيها الخلاف الإمام الشاطبي(ت 790هـ) حيث قال: " وَلَكِنْ قَدْ يُدَّعَى فِيمَا لَيْسَ بِوَسِيلَةٍ أَنَّهُ وَسِيلَةٌ إِلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ مَطْلُوبٌ كَطَلَبِ مَا هُوَ وَسِيلَةٌ بِالْحَقِيقَةِ، فَإِنَّ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ، أَوْ عِلْمَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، وَعِلْمَ الْأَسْبَابِ، وَعِلْمَ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ، وَعِلْمَ الْقِرَاءَاتِ، وَعِلْمَ أُصُولِ الْفِقْهِ، مَعْلُومٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهَا مُعِينَةٌ عَلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ، وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ؛ فَقَدْ يَعُدُّهُ بَعْضُ النَّاسِ وَسِيلَةً أَيْضًا وَلَا يَكُونُ كَذَلِكَ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي حِكَايَةِ الرَّازِيِّ فِي جَعْلِ عِلْمِ الْهَيْئَةِ وَسِيلَةً إِلَى فَهْمِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: 6]. وَزَعَمَ ابْنُ رُشْدٍ الْحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الذي سماه بـ(فصل الْمَقَالِ فِيمَا بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحِكْمَةِ مِنَ الِاتِّصَالِ) أَنَّ عُلُومَ الْفَلْسَفَةِ مَطْلُوبَةٌ؛ إِذْ لَا يُفْهَمُ الْمَقْصُودُ مِنَ الشَّرِيعَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا بِهَا، وَلَوْ قَالَ

قَائِلٌ: إِنَّ الْأَمْرَ بِالضِّدِّ مِمَّا قَالَ لَمَا بَعُدَ فِي الْمُعَارَضَةِ. وَشَاهِدُ مَا بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ شَأْنُ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي تِلْكَ الْعُلُومِ، هَلْ كَانُوا آخِذِينَ فِيهَا، أَمْ كَانُوا تَارِكِينَ لَهَا أَوْ غَافِلِينَ عَنْهَا؟ مَعَ الْقَطْعِ بِتَحَقُّقِهِمْ بِفَهْمِ الْقُرْآنِ، يَشْهَدُ لَهُمْ بِذَلِكَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْجَمُّ الْغَفِيرُ؛ فَلْيَنْظُرِ امرؤ أين يضع قدمه".[62]

لقد أجاد الشاطبي في رده الدعوات التجديدية التي تحصر معاني القرآن في مجرد الوسيلة الجديدة، لأن هذا يفضي بنا إلى العدمية، كون كل وسيلة تجديدية تطيح بالوسيلة المتقدمة سينشأ بما يعرف قراءات جديدة للقرآن الكريم؛ لكن هذا في نفس الوقت لا يمتنع أن نجعل بعض العلوم والفنون المستحدثة وسيلة للتعمق في المعاني أو فهمها وفق ظواهر علمية مستحدثة، شريطة ألا نحصر الحق فيها دون غيرها؛

وعلى أن نسمى ذلك إشارات وليس تفسيرات، وسنضرب لذلك مثالا حتى يتضح المقصود.

ففي قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾ **[الأنعام: 125]** ؛ في هذه الآية الكريمة سنعقد مقاربة بين وسيلتين من وسائل الفهم، الأولى: تعتمد على مجرد اللغة، والشاهد في هذه المقاربة قوله تعالى: ﴿ **ضَيِّقًا حَرَجًا** ﴾، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما قَرَأَ هَذِه الْآيَة: ﴿ **وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا** ﴾بِنصب الرَّاء وَقرأَهَا بعض من عِنْده من أَصْحَاب رَسُول الله (حرِجاً) بالخفض[63]؛ فَقَالَ عمر: أبغوني رجلا من كنَانَة وأجعلوه رَاعيا وَلَيكن مدلجيا[64]؛ فَأتوهُ بِهِ فَقَالَ لَهُ عمر: يَا فَتى مَا الحرجة فِيكُم قَالَ: الحرجة فِينَا: الشَّجَرَة تكون بَين الْأَشْجَار الَّتِي لَا تصل إِلَيْهَا راعية وَلَا وحشية وَلَا شَيْء. فَقَالَ عمر: كَذَلِك قلب الْمُنَافِق لَا يصل إِلَيْهِ شَيْء من الْخَيْر.[65] فوسيلة عمر بن الخطاب في فهم الدلالة هي لغة العرب، لقوله تعالى: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ **[الشعراء: 195]** ، ثم نجد في عصرنا من يقول: " أشار القرآن الكريم إلى حقيقة علميَّة لم يكتشفها البشر إلاّ حين أمكن له أن يرتقي في الجوّ إلى الطبقات العليا، وهي قلّة الأوكسجين في تلك الطبقات حيث يتركّز حوالي نصف كتلة الهواء الجوي في الستّة كيلومترات الأولى فوق الأرض، بينما ينتشر النصف الآخر في الطبقات التي تعلو ذلك. قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾ **[الأنعام: 125]** ، ... وقد شبَّه المولى - سبحانه - ضيق صدر هذا البائس بضيق صدر الذي يتصاعد في السماء بتناقص قدرته على التنفس الطبيعي درجة بعد درجة، وذلك لانخفاض الضغط الجزيئي للأكسجين في طبقات الجو العليا حتى يصل الضيق إلى أشد مراحله وهو مرحلة الحرج والتي لا يستطيع بعدها الأكسجين أن ينفذ إلى دمه، وهو تشبيه بليغ شبهت فيه الحالة المعنوية بحالة حسية، أُدركَت حقائقها وشوهدت كيفياتها اليقينية في هذا الزمان ولم تكن معلومة للبشر وقت التنزيل.... والمخاطبون بهذا القرآن ابتداء هم أهل مكة؛ وإدراك هذا التشبيه أمر ممكن وميسور لهم بسبب طبيعة بلدهم الجبلية، فإن الصاعد في الجبل كلما ارتفع كلما ضاق صدره وصعب تنفسه وزادت ضربات قلبه، لكن هل كان أهل مكة يدركون سر هذا الضيق والحرج عند صعود الجبال وأن ذلك بسبب نقص الأكسجين؟ بالتأكيد لا.فلما ظهرت الكشوف العلمية وتبين أن حياة الإنسان تتوقف على وجود غاز الأكسجين في الهواء, وأن الإنسان كلما ارتفع إلى طبقات الجو العليا كلما قل غاز الأكسجين ويصبح تنفس الإنسان بصعوبة حتى يصل إلى مرحلة ينعدم فيه الأكسجين ومن ثم يحصل الاختناق. وبهذا تبين أن الآية تخفي في ثناياها دلالة على آية كونية لم تكن معروفة للإنسان وهي شاهد على صدق هذا القرآن وأنه من عند الله تعالى الذي أتقن كل شيء".اهـ[66]

هناك جملة من الإسئلة نطرحها حتى نستطيع مناقشة هذه المقاربة، أولا هناك غرض وهدف في الآية، يجب على السامع إدراكه بوسائل الإدراك؛ فهل الله عز وجل أراد منا فهم الحقيقة العلمية عن طريق الإشارة، أم أراد منا حقيقة الهداية والإرشاد من الخطاب؟ ثم هل تلك الوسائل تدخل في حقيقة التفسير أم هي مجرد وسائل يصل بها إلى التعمق في المعنى، ثم هل الخطاب موجه لطائفة معينة دون غيرها؟

ولعلي أنطلق من آخر سؤال هل الخطاب موجه لطائفة معينة دون غيرها؟ فإذا قلنا أن الله عز وجل أراد الحقيقة العلمية دون غيرها، فلازم القول أن الأمة لم تفهم الآية إلاّ حينما اكتشفت

الحقيقة العلمية، ولازم هذا مما رد الشاطبي(ت 790هـ) آنفاً [67]، ثم ما فهمه عمر بن الخطاب لا يختص بعصره وإنما يختص بكل فاهمٍ لهذه اللغة، واللغة يشترك فيها مجموعة أفراد الأمة عبر عصورها، وإنما يتفاوتون في مراتب فهمها، قدر تفاوتهم في إدراك أسرارها ونكتها، ولا أريد إطالة المناقشة بسرد جزئيات التفسير ، ولكن سأعرج على فلسفة الفهم، لأنها مشكلة في عصرنا، حيث أن بعض الناس يشك في فهم دلالات القرآن، فإذ ما ذكر له الدلالات العلمية القطعية!! زال عنه الشك! وهذه أزمة في الفهم من جهة الاعتقاد، حيث أن كثيراً من الحقائق العلمية القطعية، هي ظنية عندنا وعند من يصدقها ويقطع بها، لأن حقيقة العلم بها، هو الوقوف على صورتها وحقيقتها العلمية القطعية والبراهين التى تقطع بها لا مجرد التصديق، وهذا الأمر لا يتأتي إلا لمتخصص كل في مجاله، لكن الناس يسلمون لهذه الحقائق تسليماً لا يقع به اليقين، وهم لا يشعرون! لكن لهم كل الجرأة أن يشككوا في دلالات القرآن إذ ما لم توافق أهوائهم وتصوراتهم الفكرية، فإذا ما نهى الله عن أكل شيء مثلاً، تجد البعض يشكك فيه ويضع له التأويلات لتملص من الحكم الشرعي، وفي المقابل بمجرد نصيحة الطبيب له أن نفس المحرم شرعاً، يكون به هلاك المريض تجده يسارع في الطاعة والتصديق، وهذه ازدواجية ليس هنا محل مناقشتها، فتفسير الظواهر العلمية مهما يكن مجالها، لا تعتبر تفسيراً أو كاشفا لمعاني القرآن الكريم، ولطالما كنت أمثل ذلك لطلبتي في أصول التفسير ومناهج المفسرين، بنظرية نيوتن، حيث أقول لهم أن قانون نيوتن موجود منذ أن خلق الله هذه الأرض، ومنذ خلق آدم إلى يومنا هذا، الناس يدركون جميعاً أن التفاحة إذا انفصلت من جدع الشجرة فمآلها إلى السقوط نحو الأرض، لكن إعطاء تفسيراً علمياً للظاهرة، لم يعرف إلا باكتشاف نيوتن للقانون، إذن الظواهر العلمية موجودة في نواميس هذا الكون، والله عز وجل جعلها داخلة في السنن الكونية في الآفاق والأنفس، تَكْشفُ عنها التجربة والعلم، فالذي يسمع التفسير العلمي لنقص الأكسجين كلما صعد الإنسان إلى السماء، هل هو حقيقةً، يدرك حقيقتها العلمية القطعية على صورتها؟! أم أنه مجرد مستسلم لهذه الحقيقة العلمية!، هل هو رأى رأي العين جزيئات الأكسجين وكيف هي تتناقص بالصعود نحو السماء؟! أم حتى أنه وقف على هذه التجربة كونه صعد إلى مرتبة ضاق بها صدره حتى لم يستطع أن يتنفس! كل هذا لم يقف عليه إلاّ آحاد من الناس، وتذكرني هذه المسألة بصعود الإنسان على سطح القمر، وكيف احتدم فيها النقاش بين أهل التخصص أنفسهم، ولست أنا بهذا التحليل ضد الحقائق العلمية، لكن أنا أفسر هذه الظواهر الفكرية المتناقضة في بعض الأحيان، وصاحب التفسير العلمي أعجبني حينما قال:" أشار القرآن الكريم إلى حقيقة علميَّة" فهي مجرد إشارة وليست تفسيراً للآية أصلاً، وهذا ما بدأنا به في تقييد مصطلح التفسير، وهو ما كان له تعلق بكشف المعنى، أما مازاد عن ذلك فهو مُلح ولطائف علمية وفكرية واجتماعية ونفسية...وضابط ذلك كله ، أننا إذا جهلنا أن الصعود إلى السماء يتسبب في نقص الأكسجين، هل يضرنا ذلك في فهم مراد الله الذي أراده؟!، بالطبع لا، فالمعلومة وإن كانت صحيحة فهي من المُلح العلمية، وكونها إشارات هذا منهج يقرره الطاهر بن عاشور في تعامله مع مثل هذه الآيات، فقد قال في مواضع متفرقة من تفسيره، مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164]**؛ فالطاهر بن عاشور بعدما فسر الآية تفسيراً أصلياً قال:" وَلَعَلَّ الْآيَةَ تُشِيرُ إِلَى مَا يُعَبَّرُ عَنْهُ فِي عِلْمِ الْهَيْئَةِ بِالنِّظَامِ الشَّمْسِيِّ وَهُوَ النِّظَامُ الْمُنْضَبِطُ فِي أَحْوَالِ الْأَرْضِ مَعَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ الْمُعَبَّرِ عَنْهَا بِالسَّمَاوَاتِ".[68] وقال في موضع آخر في تفسيره وَقَدْ جَمَعَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 164]**، أُصُولَ عِلْمِ التَّارِيخِ الطَّبِيعِيِّ وَهُوَ الْمَوَالِيدُ الثَّلَاثَةُ الْمَعْدِنُ وَالنَّبَاتُ وَالْحَيَوَانُ، زِيَادَةً عَلَى مَا فِي بَقِيَّةِ الْآيَةِ سَابِقًا وَلَا حَقًّا مِنَ الْإِشَارَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الرَّاجِعَةِ لِعِلْمِ الْهَيْئَةِ وَعِلْمِ الطَّبِيعَةِ وَعِلْمِ الْجُغْرَافِيَا الطَّبِيعِيَّةِ وَعِلْمِ حَوَادِثِ الْجَوِّ".[69] وقال في موضع ثالث:" فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: 27]**؛ تَعْلِيمُ حَقِيقَةٍ

مِنْ حَقَائِقِ الْأَجْسَامِ الْخَفِيَّةِ عَنِ الْحَوَاسِّ وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ بِالْمُجَرَّدَاتِ فِي اصْطِلَاحِ الْحُكَمَاءِ وَيُسَمِّيهَا عُلَمَاؤُنَا الْأَرْوَاحَ السُّفْلِيَّةَ إِذْ لَيْسَ مِنْ أَغْرَاضِ الْقُرْآنِ التَّصَدِّي لِتَعْلِيمِ مِثْلِ هَذَا إِلَّا مَالَهُ أَثَرٌ فِي التَّزْكِيَةِ النَّفْسِيَّةِ وَالْمَوْعِظَةِ".[70] فالملاحظ أن الطاهر بن عاشور يدرك إدراكاً تاماً لمعالم التفسير وأصوله، كما أنه حاول في تفسيره عدم الخروج عن مقاصد القرآن وأغراضه، واقحام التفسير بعلوم وفنون قد تكون صلتها بالقرآن بعيدة، ولا نهون بفائدتها في المجالات الأخرى للحياة، لكن مظانها في غير القرآن الكريم. والله أعلم.

ثانياً: التجديد في فهم النّص:

وقصدنا من كلمة النص مدلولها العام وهو كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة، سواء كان ظاهراً أو محكماً، حقيقةً أو مجازاً، عاماً أو خاصاً، وهذا الغالب لأن عامة ماورد به الشرع نصوص، إن فهم النّص تعتريه قضية التعدد والوحدة، وإشكالية تعدد فهم النص القرآني، بين الإجحاف والإطلاق لمن الأسس المهمة في المنظومة التفسيرية، حيث يضيق مفهوم التجديد لمن شدد الخناق على تعدد فهم النص القرآني وحصره في فهم ما أثر عن السلف فقط، أو في حصره في معنى دون معنيين، ويعتبر كل ما عادا ذلك خروجا عن ظاهر النص وتأويلا يخالف الشرع، وعلى النقيض من ذلك نجد من جعل للنص القرآني القابلية المفتوحة لجميع التأويلات حتى وإن كانت خارجة عن ذات اللغة، حتى أسسوا ما يعرف بازدواجية دلالة النّص.

أما الاتجاه المعتدل الوسط بين الإجحاف والإطلاق، يتمشى مع مقاصد الشريعة والقرآن الذي خاطب الله به جميع النّاس في جميع الأزمنة دون الاقتصار على فترة زمنية معيَّنة أو مكانية، وهذا من إعجاز القرآن كما لا يخفى.

يصف الباحث نجم الدين قادر، الإتجاهين، فيقول:" إن من بدهيات المنهج الوسطي النظر الصحيح والتقدير السليم لدلالات النصوص، وهو ما يجب بناؤه على أسس لسانية وشرعية موضوعيّة لا تبالغ ولا تشتطّ ولا تنزل من قدر النص ولا تضع، خلافاً لمن اعتبطوا الفهم فبالغوا أو استطوا، وكان أمرهم فرطاً، فمنهم من يحمِّل النص من الدلالات فوق ما يطيق، فيحمِّله علوم الأولين والآخرين، ويستخرج منه – طوعاً أو كرهاً- علوم البر والبحر، ومنهم من يرى أنه ما من شيء إلاَّ جاء بيانه بالنص. وثمة اتجاه على النقيض منه، يضع النص في أضيق الدوائر وأحصر المعاني، ولا يكاد يسمح بالاستفادة من الطاقات الدلالية المعهودى في العرف اللغوي والشرعي، فيرسم طريقة في التعامل مع الدلالة لا تكاد تبقي للتفقه والاستنباط أيَّ جدوى، ويسعى _ قدر المستطاع _ إلى أن يوجه فهم النص توجيهاً لغوياً ظاهرياً، لا يتجاوز فلك الغريب، ولا يتعدَّى بيان الغامض، ولا يبرح كشف المشكل، ويظل يطوف ويرتاض في حقول المعاجم العربية، لا يكاد يرتاد غيرها، أو يشدّ الرحال إلاّ إليها".[71]

إنّ قضيتنا التجديد في فهم النص، ترتبط هنا بقضية المرونة واحتمالية الإزدواجية مع المحافظة على أصلية النص، وهنا لابد أن نضع أو نقف عند مجال طبيعة هذه المرونة، ونسأل ما هي أقصى حدودها؟ لأن إطلاق هذه المرونة، قد يؤدي بالنص إلى فقدان وظيفته المنوطة به، ويصبح المعنى يجافي دلالة اللفظ، حتى أنه قد يؤدي إلى القطيعة بين اللفظ والمعنى، كما هو الشأن في التفسيرات الباطنية، لذلك تبقى اللغة أو اللفظ يتحكم في المعنى الأصلي ويطلق العنان لوظيفة المرونة في المعنى لتتسع في دلالاتها قدر ما تحمله اللغة من أسرار وإعجاز، ومن هنا يأتي التجديد، لا التجديد الذي ينادي به أصحاب الحداثة فيما زعموا! فهم يريدون أن يتحكموا في وظيفة الألفاظ ويغيروا وظيفتها المنوطة بها، بأفكار تشربوا بها جراء تأثرهم بالحضارة الغربية وفكرهم، فهم يريدون أن ينظروا إلى النصوص بمنظور فكري غربي، لذلك لا تساعدهم دلالات تلك النصوص من جهة اللغة، فطرحوها بالكلية وادعوا أنها قراءة جديدة وفق عصر جديد!.

لكن هنا ننبه إلى قضية سجلها التاريخ في كبرى القضايا التي اختلفت فيها الأمة وهي الحركة التأويلية وخاصة في النصوص التي تشير إلى ذات الله وصفاته سبحانه وتعالى، وهي ما لم تكن في العصور الأولى المفضلة، لكن نستطيع القول أن الجامع المشترك بين جميع الفرق رغم

تباعد مناهجها وتصوراتها، هي تنزيه ذات الله، وهذا ليس مبرر لتلك التصرفات، وإنما الإشارة لمقصد تلك الحركات الفكرية في تراثنا الإسلامي، ولهذا لما عرفوا التأويل قالوا أنه :" عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر".[72] بل جعلوا من شروط التأويل ما اصطلح عليه "بالقرينة" الصارفة عن الظاهر ولهذا نجد بعضهم يفرق بين التأويل الصحيح والفاسد أو الباطل يقول بدر الدين الزركشي:" صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى يحتمله، ثم إن حمل لدليل فصحيح، وحينئذ فيصير المرجوح في نفسه راجحا للدليل، أو لما يظن دليلا ففاسد، أو لا لشيء فلعب".[73] فتأويلات الباطنية في حقيقة الأمر لا تدخل في زمرة التأويل الذي اصطلح عليه المتأخرون، وإنما هي قريبة مما وصفه الزركشي أنها لعب لأن عملية التأويل عند الباطنية لا تعلق فيها بين اللفظ والمعنى لا من قريب ولا من بعيد.

ولهذا كل دعوى تجديدية في مجال فهم النص القرآني ، إن لم تراع الضوابط والشروط التي تحقق المنظومة التفسيرية، فهي دعوى تجديدية باطلة، وإن حملت شعارات براقة.

ثالثا: التجديد في آليات الفهم:

ونقصد بآليات الفهم الطرق والوسائل المتاحة للاقتراب من دلالة النص ومقصده، وقد عبر عنها الشاطبي بالوسائل حيث قال:" فَإِنَّ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ، أَوْ عِلْمَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، وَعِلْمَ الْأَسْبَابِ، وَعِلْمَ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ، وَعِلْمَ الْقِرَاءَاتِ، وَعِلْمَ أُصُولِ الْفِقْهِ، مَعْلُومٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهَا مُعِينَةٌ عَلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ، وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ؛ فَقَدْ يَعُدُّهُ بَعْضُ النَّاسِ وَسِيلَةً أَيْضًا وَلَا يَكُونُ كَذَلِكَ".[74] لقد حرص المفسرون عبر القرون المختلفة، تقديم تفسيراً للقرآن الكريم، لكن القاسم المشترك بينهم، هو إرادة فهم السامع مراد الله وإرشاداته من خلال القرآن الكريم، وبطبيعة الحال لا نقصد اختراع فهم آخر، بل نقصد ما هي الوسيلة المثلى للمفسر وفق متطلبات عصره ومجتمعه، لتقريب مراد الله لنّاس حتى يتفاعلوا إيجاباً مع روح القرآن وقيّمه، ويحرك فيهم مؤشر التغيير لصالحهم الدنيوي والأخروي، ويحققون بذلك نهضتهم الحضارية، وهذا لا يتم إلاّ في حدود مراعاة كل عصر ومتطلباته وفق طبيعة المجتمع العلمية والثقافية والفكرية، ومن هنا نضرب نموذجاً في عدم مراعاة تلك المتطلبات أو في نسخ تجارب متطلبات عصر ما، على عصر آخر، فقد نجد في عصرنا الحاضر مثلا من يفسر لنّاس القرآن الكريم، معتمداً في ذلك على تفسير أبي حيان الأندلسي من خلال كتابه البحر المحيط، فكيف لنّاس ببحر، وهم لا يستطيعون السباحة حتى في مجرد شاطئه، فهم لا يدركون أبجديات اللغة العربية، ثم نجد المفسر يرمي بهم في اختلافات النحاة ومذاهبهم على ما جاء في كتاب أبي حيان، وأنا على يقين أن هذا المفهِم يصعُب عليه فهم تلك المسائل الدقيقة من علم النحو، أو على الأقل يشق عليه ذلك، وهنا تضيع جهود الحركة الإصلاحية والتجديدية، فالمجدد يجدد التفسير وفق الحكمة التي يقتضيها العصر، والحكمة هي:" فِعْلُ مَا يَنْبَغِي، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَنْبَغِي".[75] فليس من الحكمة في شيء أن نعالج قضايا الأمة الفكرية والإجتماعية والسياسية...وفق منظور عصر آخر. ولذلك نرى اختلاف مناهج المفسرين من هذا المنطلق، والحال كذلك للفنون الأخرى ؛ حيث أن الشارحين لكتاب واحد يختلفون في شرحه بسطاً وإيجازاً، وما ذاك الاختلاف إلاّ لاختلاف مقتضيات الزمن والبيئة، فليس من الحكمة مثلاً، زمن الحرب والخوف وعدم الأمن على المال والأنفس، أن يبسط الفقيه ويستطرد في المسائل الفقهية، وفي الأحجيات والفرضيات، والناس مشغول بَالها بالخوف، ولا يكاد يغيب عن فكرها، فهذا في الغالب هدرٌ للوقت والجهد، ومجانبة الصواب في إيجادِ حلٍ أمثل لواقع الأمة وهمومها، وكذلك المفسر ليس من الحكمة أن يبسط كبريات مدونات التفسير وجزئياتها على من لا قدرة على استعابها والاستفادة منها، ومن هنا نستطيع القول أن المجدد الحق: هو من كانت له القدرة على إفهام مراد الله، وفق متطلبات عصره وبيئته لنُهوض بأمته، ومعالجة همومها وعللها. ومثل هذه المحاولات تجسدت في الحركة الإصلاحية التي قام بها محمد عبده، و محمد رشيد رضا، وعبد الحميد بن باديس في عصورنا المتقدمة.

رابعاً: التجديد في الطرح والعرض:

ونقصد بذلك أن المجدد في التفسير يواكب عصره في قضياه المرهونة، من خلال استثمار دلالات القرآن وهداياته وإرشاداته وقصصه، في معالجة واقع الأمة، وهذا يذكرني بصنيع كثير من الخطباء يوم الجمعة، _ إلاّ ما رحم ربّي_ في البون الشاسع في خطبهم وواقع أمتهم، حتى ظل الخطاب الديني عرضة للنقد والسخرية _ والله المستعان _ إن كل عملية تجديدية في أي فن من الفنون لابد أن ترتبط بواقع الأمة، وإلاّ حكم عليها بالفشل، وقضية الطرح والعرض منهج قرآني فالقرآن كان يعايش مشكلات وأزمات وأوجاع المجتمع النبوي، فتارة ينزل ليعالج المشكلات من خلال التوجيهات أو فرض أحكام، وتارة ينزل ليعالج الأزمات من خلال سرد الأمثلة من القصص وكيفية تعامل الأنبياء مع مثل تلك الأزمات والمواقف، وتارة ينزل بالإرشادات والتوجهات من خلال سرد صبر الأنبياء في حالة الأوجاع، وكذا كان التفاعل في فهم القرآن في المجتمع النبوي، ومن خلال فهم النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن، ولمجتمعه، رسخ ما جاء به القرآن من خلال سنته، فيقول صلوات ربي عليه:" عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ".(76) وهذه الإجابية في فهم القرآن الكريم، فلا بد من تجسيدها عملياً وواقعياً، حتى تقع التفاعلية الإجابية، وتتحقق الغاية المقاصدية، وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذا المعادلة التفاعلية المثمرة في قوله: " فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا".(77) فالمجدد لا بد له بعد الاستفادة من كتب التفاسير الأخرى، على أن يُحسن العرض والطرح بما يتماشى من متطلبات العصر ومخرجاته.

خامساً: التجديد في تصحيح المفاهيم.

والتجديد هنا يشمل أمرين:

الأول: ما علق بتراثنا من خرافات وتحريفات سواء ما تعلق منها بالأحاديث الموضوعة أو الأخبار الإسرائيلية التي لا توافق شرعنا، أو الأفكار الفلسفية المناهضة لروح الشريعة، أو العقائد الفاسدة، أو المذاهب الجامدة... في كتب التفسير، ونسميها بعملية التصفية والتنقية، من خلال قراءة التراث التفسيري من جديد وتنقيته من الشوائب والعلائق ، ثم تقديمه للقرآء بحلة جديدة، نأمن فيها على القارىء من تلك الشوائب.

المفهوم الثاني: تصحيح مفاهيم الناس الفاسدة، من خلال التفسيرات المقاصدية للقرآن الكريم والوقوف على أهم الكليات الموجودة فيه، وهذا المطلب من أهم محاور التجديد، لأن الناس اليوم في هذا العصر، تغيرت فطرهم التي فطرهم الله عليها، قال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ **[الروم: 30]** ؛ فالعالَم يعيش انحلال خلقي عجيب، حتى انحطت مرتبة بعض طبائع البشر عن مرتبة الحيوانات وطبائعهم! فلا نكاد نجد للمثلية(78) في مملكة الحيوانات، لأنهم على فطرتهم التي خلقهم الله عليها، وكنا نعجب من الدياثة منذ زمن قريب، حتى خرجت علينا أنواعاً وأشكالا جديدة من المنكرات والفواحش، أصبحت بعض الدول تروج لها وتحميها، بل وتَسُن القوانين لحمايتها والدفاع عنها، وهنا تتجسد مهمة المجدد في فهم الواقع المعيش وما يدور حول مجتمعاته من فيروسات أخلاقية وعقائدية ومنهجية وفكرية، وكيفة معالجتها من خلال العملية التفسيرية للقرآن الكريم، وعلى المجدد أن يدرك ما يدور في أفهام النّاس وخاصة شبابها، من خلال وجود آليات عصرية، أو طرق مبتكرة، كاستطلاعات الرأي التي يقوم بها علماء الاجتماع، لمعرفة نواحي معينة في المجتمع، وعلى المجدد عدم الوقوف على نتائج الاستطلاع، بل لا بد عليه أن يحلل تلك الظواهر، ويبحث عن أسبابها، ثم علاجها بالآليات الصحيحة التي تواكب أفكار هذه المجتمعات، من خلال تفسير القرآن الكريم وهداياته وارشاداته.

لا نشك أننا أمام عصر تغيرت فيه الاعتقادات والسلوكيات وحتى الغرائز الطبيعية، لما يشهده العالم من انحطاط فكري وسلوكي وأخلاقي، لا سبيل لنا في معالجة هذه الحالات إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم وتفسيره معتقدين أنه هدًى للنّاس وبينات، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ

هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185] وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ [فصلت: 44]؛ إن أنجع ما يعالج به أي مجدد مجتمعه لا بد أن ينطلق من واقعه بعدما يتمكن من معرفة المنظومة التفسيرية بأصولها، ويكن على وعي تام بمقاصد القرآن وإرشاداته وهداياته، مع معرفة تصورية تامة بواقع الأمة وما يدور في خَلدها من شبهات وشهوات، ونضرب نموذجا لتفسير الإمام عبد الحميد بن باديس[79] وهو يعالج أحد القضايا المهمة في عصرنا الحالي، والتى هي أحد شبه بعض شبابنا في الأمة، وهي علاقة الدين بالتطور الحضاري وكيف أنا المسلم الذي يعتقد الحق، تخلف عن ركب الحضارة وما سبب ذلك.

فالإمام عبد الحميد بن باديس عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: 20]، قال: " وأما في الدنيا فإنهم قد أعطوا من نعم الحياة، ومُكنوا من أسبابها؛ فقد تساووا في الخلقة البشرية، وفي العقل المميز المفكر، وفي الإرادة الحرة؛ وقد أظلتهم السماء، وأصابتهم نعمة الشمس والقمر والكواكب وما ينزل من السماء؛ وقد أقلتهم الأرض وشملتهم نعمة الهواء، والماء، والغذاء، والدواء، من النبات والحيوان والجماد، وكل ماء يخرج من الأرض؛ وشاهدوا كلهم آيات الله الكونية الدالة عليه؛ وجاءتهم كلهم رسل الله بآياته السمعية داعية إليه، فاختار كل بعقله- وهو حر في إرادته حرية لا يمكن لأحد أن يكابر فيها ما اختار لنفسه؛ وحجة الله بما تقدم قائمة عليه. وبقوا بعد ذلك الاختيار- الذي اختلفت به منازلهم عند الله- فيما أعد لهم يوم لقاه، سواء في تلك النعم الدنيوية، والتمكن من أسباب بقائها والتقدم فيها، لا فرق في ذلك بين بر وفاجر، ومؤمن وكافر، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: 20]، وليس تعالى مانعاً كافراً لكفره، أو عاصياً لعصيانه من هذه الحياة وأسبابها، وليس أحد على منع ما لم يمنعه الله بقادر.... فهذه الآية من أنجع الدواء لفتنة المسلم المتأخر بغيره المتقدم، لما فيها من بيان أن ذلك المسلم ما تأخر بسبب إسلامه، وأن غيره ما تقدم بعدم إسلامه؛ لأن السبب في التقدم والتأخر هو التمسك أو الترك للأسباب؛ ولو أن المسلم تمسك بها كما يأمره الإسلام، لكان- مثل سالف أيامه- سيد الأنام".[80]

وهنا يتجسد التجديد في معرفة واقع الأمة وكيفية معالجة الشبهات من خلال معرفة مقاصد القرآن الكلية، فالقرآن وَضَح أنه ثمة سنن كونية لا تتبدل، قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 62]، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: 23] فمن أخذ بسنن الآفاق والأنفس تحقق له مطلوبه بغض النظر عن صحة أو بطلان اعتقاده، ومن تحققت له سنن الهداية والإرشاد لا يلزم منه التفوق في سنن الآفاق والأنفس، وهكذا يعالج المجدد مثل هذه الثنائيات في مجتمعه بطرح يواكب عصره ومقتضياته.

الخاتمة: تحتوي على أهم النتائج التالية:

- لفظ التجديد ورد في لسان الشرع، كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بقوله: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا".
- التجديد يدور حول إحياء ما اندثر من معالم الدين أو إزالة ما لصق به من شوائب وحول ما أضيف على ما يحويه من المعاني الدقيقة والاكتشفات الجديدة.
- التجديد في الدين بصورة عامة ليس معناه أن تزيله ، وتنشئ شيئاً جديداً مكانه ، بل أن تبقي على جوهره ومعالمه وترمم منه ما بلي .
- علماء التّفسير قيّدوا البيان بما يقع به الكشف عن المعنى، أما ما زاد عن ذلك طرحوه أو اعتبروه ليس من أغرض التفسير.
- التجديد في التفسير هو تفسير القرآن على ما تقتضيه الحاجة والضرورة من كل عصر، حتى يرجع إلى رونقه وصفاءة بغية فهمه فهما سليما، يلبى احتياجات كل عصر، مع إحياء ما اندرس، وإزالة ما يناقض روح القرآن ومقصده أو ما علق به مما ليس منه، بطريقة وحُلَّة مواكبة ومناسبة لمقتضيات كل عصر.
- من دواعي التجديد، الحاجة إلى البيان، والحاجة إلى تغيير المفاهيم، والحاجة إلى مواكبة

العصر. مجالات التجديد، التجديد في البيان ؛ التجديد في فهم النّص؛ التجديد في آليات الفهم؛ التجديد في الطرح والعرض؛ التجديد في تصحيح المفاهيم.

التوصيات:

- لابد على المجدد فهم وتحديد مواطن التجديد وحاجاته ومجالاته.
- لابد على المجدد فهم واقع الأمة وهمومها، ومن ثمة معالجة ذلك من خلال إعطاء تفسيرات للقرآن ترسخ جمال تفسيرات المتقدمين، وتجددها بحلة العصر، ومتطلباته.
- التجديد لا بد أن يكون في كل مجالات الدين بصفة عامة، وفي القرآن بصفة خاصة، حتى نستطيع بالنهوض بهذه الأمة.
- على الباحثين في محور التجديد، التدقيق في منهجيته حتى نصنع صورة موحدة لهذا التجديد المنشود.

الهوامش والمصادر والمراجع:

[1] ابن عاشور ،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت : 1393هـ)؛ التحرير والتنوير ،الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس؛ سنة النشر: 1984 م. ج.1ص.45.

[2] الخليل لفراهيدي ، أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم االبصري (ت: 170هـ)، كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.ج.6.ص.7.

[3] ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: 458هـ)، المخصص، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، 1417هـ 1996م.ج.1؛ ص.397.

[4] نفس االمرجع. ج.1؛ ص.397.

[5] ينظر: ابن منظور ،محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الإفريقى (ت: 711هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة - 1414 هـ. ج.3ص.111.-بتصرف-

[6] أبو جعفر الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط الأولى: 1422 هـ - 2001 م. ج.13ص. 625.

[7] نفس االمرجع. ج.13ص. 432.

[8] نفس االمرجع. ج.14ص. 615.

[9] رواه أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.برقم: 4291. وغيره ؛ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، ، عام النشر آخر مجلد: 1422 هـ - 2002 م. ج.2ص. 148؛ برقم: 599.

[10] الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني المعروف بابن البيع (ت: 405هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1411 ه – 1990م. برقم : 5؛ وقال الذهبي : رواته ثقات. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم : 1585.

[11] أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1421 هـ - 2001 م. برقم: 10438؛ وقال معلقه: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل هشام بن سعد.

[12] ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: 354هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثانية، 1414ه – 1993م.برقم: 6897. قال الألباني: صحيح لغيره. ينظر: الألباني ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت: 1420هـ)، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية. ج. 10؛ص. 39.

[13] قال الألباني: حسن الإسناد، ينظر: البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (ت: 256هـ)، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، ط: الرابعة، 1418 هـ - 1997 م. ص.179.

[14] سنن أبي داود، برقم: 4291.

[15] ابن المَلَك ، محمَّدُ بنُ عزّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ،(ت: 854 هـ)، شرح مصابيح السنة للإمام البغوي ، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: إدارة الثقافة الإسلامية، ط: الأولى، 1433 هـ - 2012 م.ج.1ص.221.

[16] الْعَلْقَمِيُّ هو: محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقميّ، شمس الدين: فقيه شافعيّ، عارف بالحديث؛ من بيوتات العلم في القاهرة. كان من تلاميذ الجلال السيوطي، ومن المدرسين بالأزهر. له الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير.ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر: - أيار / مايو 2002 م.ج.6؛ ص.195.

[17] عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت: 1329هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط الثانية: 1415 ه.ج.11؛ ص260.

[18] علي القاري ، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (ت: 1014هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، ط الأولى: 1422هـ - 2002م.ج.1؛ص.321.

[19] نفس المرجع. ج.1؛ص.340.

[20] أبو الأعلى المودودي،(ت: 1399هـ)، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، الناشر: دار الفكر الحديث لبنان، ط: 1386- 1967م.ص.13.

[21] ينظر: نفس المرجع. ص.52.

[22] ينظر: يوسف القرضاوي، هموم المسلم المعاصر، إعداد وحوار: ياسر فرحات، الناشر مكتبة التراث الإسلامي، تاريخ النشر:1989م.ص.31.

[23] ينظر: أبو منصور الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي،(ت: 370هـ)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط الأولى: 2001م.ج.12؛ص.283. -بتصرف-

[24] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.ج.4ص.504.

[25] ينظر: ابن جرير الطبري، تفسير الطبري. ج.17ص.448.

[26] الزُّرْقاني ،لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني(ت: 1367هـ) ، مناهل العرفان في علوم القرآن،الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة. ج.2ص.133.

[27] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير.ج.1ص. 11.

[28] ابن لعثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ)، أصول في التفسير، ط: المكتبة الإسلامية، ط: الأولى: 1422 هـ - 2001 م .ص.23.

[29] ابن جرير الطبري، تفسير الطبري. ج.8؛ ص.679.

[30] أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ط: 1420 هـ.ج.1ص.32.

[31] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير.ج.2ص. 185.

[32] ينظر: حسين الذهبي، محمد السيد حسين الذهبي (ت: 1398هـ)؛ التفسير والمفسرون، الناشر: (بدون تاريخ) مكتبة وهبة، القاهرة. ج.1؛ص.109.

[33] أبو داود، سنن أبي داود، برقم: 4291.

[34] ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت:852 هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، علق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وقام على طبعه: محب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379ه.ج.13؛ص.295.

[35] ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت : 606هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، الناشر : مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط : الأولى سنة ط: 1392 هـ ، 1972م. ج.11؛ص.320.

[36] ينظر: التجديد في التفسير مادةً ومنهجاً، جمال أبو حسان. ص5. ينظر موقع: http://www.aslein.net/showthread.php?t=1974

37 الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : 1393هـ)، أليس الصبح بقريب، ط: دار السلام ،الناشر : دار سحنون للنشر والتوزيع، ط الأولى: 1427ه_ 2006م. ص. 165.

[38] شريف محمد إبراهيم السيد، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين، تحقيق: عبد العظيم معاني، النشر: كلية دار العلوم، سنة النشر: 1399ه - 1979م.ص.89.

[39] أ د حسن من محمد شبالة، التجديد مفهومه ضوابطه، مقال من موقع :https://www.islamweb.net/ar/article/209641 تاريخ النشر: 16\03\2016..

[40] محمّد أركون، ، الفكر الأصولي واستحالة التّأصيل_ نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي_، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط الأولى: 1999م.
ص 76 .

[41] يَقْصِد أركون وغيره بـ" الأَنْسَنَة "؛ ذلك الموقف الذي يقدِّس الإنسانَ لذاته، ويعتبره مركزَ الكون، ومحورَ القيم، ويفرّقون بذلك بين " المركزيَّة الإنسانية "؛ و " المركزيَّة الإلهية "، ويرون أنَّ مشكلةَ المسلمين اليوم؛ هي في إيمانهم بأن الإله هو مركز الكون، ومصدر التشريع !!

[42] عبد الله موسى محمد أبو المجد، التجديد في الدرسات التفسيرية مقترحات وتجارب، (وهو عبارة عن بحث مقدّم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية).ص14.

[43] الإمام البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ، ط: الأولى، 1422هـ. برقم: 3360.

[44] صحيح البخاري . برقم: 1643.

[45] ابن جرير الطبري، تفسير الطبري. ج.1 ؛ ص.70.

[46] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (ت: 458هـ)، السنن الكبرى ، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م. ج.8؛ص.310؛ برقم: 16740.

[47] ينظر القصة بالتفصيل : عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر بن همام بن نافع الحميري اليماني (ت: 211هـ)، المصنف ، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي،، الناشر: المجلس العلمي- الهند، ط: الثانية، 1403ه. ج.10ص. 157؛ برقم:18678.

[48] الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت: 204هـ)، الرسالة، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر ،ط الأولى: 1358هـ-1940م. ص. 21.

[49] نجم الدين قادر كريم الزمكي، المرتكزات البيانية في فهم النصوص الشرعية، من إصدارات: روافد العدد: 25 ، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- دولة الكويت-.ص. 37.

[50] الشافعي، الرسالة . ص.145.

[51] نفس المرجع.ص.61.

[52] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير.ج.1؛ ص. 45.

[53] ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751 هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، علق عليه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1423 هـ. ج.3؛ ص116.

[54] أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت(دون تاريخ ط) . ج.3؛ص178.

[55] الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت: 790هـ)، الموافقات، ، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط الأولى: 1417هـ- 1997م.ج.1؛ص109.

[56] أخرجه: البخاري، كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة، برقم: 1400؛ ، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله برقم: 20، من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

[57] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ-1995م.ج.13؛ص.364.

[58] الشاطبي، الموافقات. ج.4؛ص128.

[59] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير.ج.1؛ ص. 45.

[60] نفس المرجع. ج.1؛ ص. 44.

[61] الشاطبي، الموافقات. ج.2؛ص136.

[62] نفس المرجع. ج.4؛ص198.

[63] قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر عن عاصم {حَرَجًا} [الآية 125] بكسر الراء. وقرأ الباقون {حَرَجًا} بفتح الراء. ينظر: أبو بكر النيسابوريّ، أحمد بن الحسين بن مِهْران (ت: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق، عام النشر: 1981م.ص.202.

[64] بنو مدلج، بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر اللام وجيم في الآخر، وهم: بنو مدلج بن مُرة بن عبد مناة بن كنانة. ينظر: القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت: 821هـ)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، المحقق: إبراهيم الإبياري، الناشر: دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط: الثانية، 1402هـ - 1982 م.ص.136.

[65] أخرج عبد بن حميد وَابْن جرير وَابْن الْمُنْذر وَأَبُو الشَّيْخ عَن أبي الصَّلْت الثَّقَفِيّ. ينظر: السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر، (ت: 911هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (بدون تاريخ ط) ، الناشر: دار الفكر - بيروت. ج.3؛ص.356.

[66] شحاتة محمد صقر، الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، الناشر: دار الخلفاء الراشدين - الاسكندرية.ج.9؛ص.33.

[67] في قوله :" إِنَّمَا يَصِحُّ فِي مَسْلَكِ الْأَفْهَامِ وَالْفَهْمِ مَا يَكُونُ عَامًّا لِجَمِيعِ الْعَرَبِ، فَلَا يُتَكَلَّفُ فِيهِ فَوْقَ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ بِحَسَبِ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي... وَإِلَّا كَانَ خَارِجًا عَنْ حُكْمِ مَعْهُودِهَا ". ينظر: ال الشاطبي، الموافقات. ج.2؛ص136.

[68] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير.ج.2؛ ص. 77.

[69] نفس المرجع. ج.2؛ ص. 84.

[70] نفس المرجع. ج.8؛ ص. 79.

[71] د نجم الدين الزمكي، المرتكزات البيانية في فهم النصوص الشرعية. ص. 23.

[72] أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، 1413هـ - 1993م.ص.196.

[73] الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت: 794هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، الناشر: دار الكتبي، ط: الأولى، 1414هـ - 1994م.ج.5؛ ص.37.

[74] الشاطبي، الموافقات. ج.4؛ص198.

[75] ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة، 1416 هـ - 1996م. ج.2؛ ص. 449.

[76] رواه مسلم ؛ برقم: (2999) بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ. ينظر: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،(صحيح مسلم) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

[77] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: 30628، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ؛ برقم: 713.

[78] نقصد بها المثلية الجنسية، وتم تعريفها بأنها عبارة عن: توجه جنسي يتسم بالانجذاب الشعوري، أو الرومنسي، أو الجنسي بين أشخاص من نفس الجنس. ينظر: Sexual Orientation, Homosexuality, and Bisexuality مؤرشف من الأصل على موقع واي باك مشين .

[79] بن باديس (1305 - 1359 هـ / 1887 - 1940 م) هو: عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس: من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ بدء قيامها سنة 1931 إلى وفاته. ولد بمدينة قسنطينة لأسرة مشهورة بالعلم والثراء والجاه، وتعلم بمسقط رأسه ثم بتونس حيث أتم دراسته في جامع الزيتونة وتخرج منها. وعاد إلى بلده، فدرس بالجامع الكبير. أصدر جريدة "المنتقد" صدر منها 18 عددا، فأصدر بعدها مجلة "الشهاب" وقد صدر منها في حياته نحو 15 مجلدا. توفي بقسنطينة. من آثاره "مجالس التذكير" في التفسير، اشتغل به تدريسا زهاء 14 عاما، و"العقائد الإسلامية" وغيرها. ينظر: عادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط: الثانية، 1400 هـ - 1980م. ص.28. بتصرف.

[80] ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت: 1359هـ)، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: الأولى، 1416هـ - 1995م. ص.57-59.